



«وَتَكُونُونَ لِي شُهَدَاءَ...»
«إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ»
(أع ١ : ٨)



الرسل الأثني عشر

شهود القيامة وحملة الرسالة



كلمة صاحب الغبطة بطريك المدينة المقدسة اورشليم كيرىوس كيرىوس ثيوفيلوس الثالث عيد الرسل الاثني عشر الأطهار المجيدين الكلي الوقار

٣٠-٦-٢٠٢٢ ش ، الواقع في : ١٣-٧-٢٠٢٢ غ

وَالرُّوحُ الْقُدُسُ . وَعَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ . وَهَآ أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ . آمِينَ . (متى ٢٨ : ١٨-٢٠)

إنَّ تلاميذ المسيح لم يصنعوا أي شيء من ذواتهم، أي من فهمهم وإدراكهم الخاص بل قد عملوا كل ما أعطي لهم من وصايا، لهذا فإن القديس أناسيوس الكبير يقول: لم يأمر المسيح ببساطة أن يعمدوا بل قال لهم: أولاً اذهبوا وتلمذوا... لكي بسبب تعلمهم يتولد لديهم الإيمان المستقيم وبعد اكتمال إيمانهم ينالوا المعمودية، ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم: أولاً تعلم العقائد ومن ثم دراسة الوصايا التي أمر بها الرب يسوع.

ومن الجدير بالذكر بهذا الصدد ما يُفسره القديس غريغوريوس النيصي قائلاً: تتميز طريقة حياة المسيحيين إلى عنصرين؛ أحدهما الجزء الأخلاقي، والآخر دقة العقائد، فإن العقيدة الخلاصية قد أعطيت وتأسست، وأما حياتنا فيتم إصلاحها عن طريق حفظ الوصايا.

وبكلام آخر تنقسم كرازة الرسل القديسين إلى قسمين فيما يتعلق بحياة المسيحيين، والتي هي طريقة الحياة التي بحسب المسيح، فمن جهة الوعي ومعرفة الإيمان المستقيم أي معرفة العقائد بدقة من خلال المعمودية ومن جهة أخرى من أجل تطبيق وحفظ وصايا إنجيل المسيح.

فها قد اتضح لنا لماذا بولس الرسول يوصي قائلاً: « فَأَثْبُتُوا إِذَا أُيِّهَآ الْإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءً كَانَ بِالكَلَامِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا. » (٢٠٢٠: ٢٠) ، وتلميذه تيموثاوس يقول: « يَا تِيمُوثَاوُسُ، احْفَظِ الْوَدِيعَةَ، مُعْرِضًا عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الدَّنِسِ، وَتَحَالَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الْاسْمِ » (١ تيم ٢٠: ٦).

إن كنيسةنا وتقليد الرسل القديسون أيها الإخوة يشكل مصدر الإيمان العقائدي والكرازة الكنسية التي هي التعليم الروحي والأخلاقي بالإضافة إلى الكتاب المقدس كما يقول القديس مكسيموس المعترف قائلاً: من جهة التعليم والممارسات والعقائد المحفوظة في الكنيسة فقد

لقد طُفتم الخليقة كلها يا تلاميذ المخلص فأحرقتهم بتعاليمكم ضلالة الأوثان كمادة قابلة الاحتراق واصطدمت الأمم من عمق الجهل والغباوة وهديتهمهم إلى معرفة الله فخلصتموهم فالآن تشفعوا إلى المسيح الإله طالبين أن يكون لنا في يوم الدينونة شفيعاً رحيماً.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح، أيها المسيحيون والزوار الأتقياء إنَّ نعمة الرسل الاثني عشر المجيدين الكلي مديحهم قد جمعنا اليوم في هذا الدير المقدس الذي يحمل اسمهم عندما « أَظْهَرَ أَيْضًا يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلَامِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبْرِيَّةَ. » (يوحنا ٢١: ١) لكي نعيد لعيد تذكراهم المقدس الجامع.

إن هذا اليوم الجليل الكلي الوقار للرسل الاثني عشر يُشكل امتداداً لعيد هامتي الرسل بطرس وبولس والذي أقمنا بابتهاج تذكراهم السنوي بالأمس على شاطئ بحر مدينة كفرناحوم.

ويذكر القديس لوقا الإنجيلي عن اختيار الرب للاثني عشر تلميذاً وإرسالهم قائلاً: « فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ (يسوع) إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ . وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ . وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلَامِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا رُسُلًا (لوقا ٦ : ١٢-١٣) ويفسر كلام الإنجيلي الذي سبق القديس كيرلس الإسكندري: « إِنَّ رُبْنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، إِذْ قَدْ قَضَى اللَّيْلَ فِي الصَّلَاةِ وَقَدْ تَحَدَّثَ مَعَ أَبِيهِ فِي السَّمَاءِ بِطَرِيقَةٍ لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا وَتَفُوقُ قُدْرَتَنَا عَلَى الْفَهْمِ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ لَهُ وَحْدَهُ، وَبِذَلِكَ جَعَلَ نَفْسَهُ مِثَالًا لَنَا فِي أَمْرٍ ضَرُورِيٍّ لِخَلَاصِنَا، لِأَنَّهُ عَلِمْنَا بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ يُمْكِنُنَا لَحْنُ أَيْضًا أَنْ نَقْدِمَ صَلَوَاتِنَا بِطَرِيقَةٍ سَلِيمَةٍ وَبِلَا لُومٍ . وَبَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَاخْتَارَ أَوْلَادَكَ الَّذِينَ سَيَصِيرُونَ مَعْلَمِي الْمَسْكُونَةِ .

حقاً إنَّ الرسل القديسين قد صاروا معلمين وكارزين بسر التدبير الإلهي لكل المسكونة كما يشهد بذلك القديس البشير متى الإنجيلي. فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: « دَفِّعْ إِلَيَّ كُلَّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ

رسولية الكنيسة تتأسس وحدة الكنائس الأرثوذكسية المحلية الشقيقة. كما يقول المزمور: «أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلَاصَهُ. لِعِيُونِ الْأُمَمِ كَشَفَ بَرَّهُ.» (مز ٩٧: ٢).

وختامًا نحن محيي عيد القديسين الرسل مع أم إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح نتضرع لكي بشفاعاتها وبتوسلاتها إلى ابنها وإلهها من أجل سلام العالم وخلاص نفوسنا ووحدة الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية. آمين



البطريك ثيوفيلوس الثالث بطريك المدينة المقدسة اورشليم مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الْأُبُويَّةِ



الجميع. فما الذي كان يجذبهم إليهم؟
أليس من الواضح **أنها قوة ذلك الذي كانوا يكرزون به؟**
لأنه لو لم يكن الأمر كذلك، فهل كان من السهل أن يجذبوا
المقاومين لهم ويجعلوهم يتبعوهم؟
إن ذلك أمر لا يمكن تفسيره.

ومن ثم يتبين من كل شيء **أن قوة إلهية هي التي حققت هذا النجاح.**
فمن أين أتعنوا - **أخبرني** - أولئك الناس المسترخين في الملذات
والمنحرفين وراء الشهوات، بأن يسلكوا طريقًا قاسيًا وشاقًا في الحياة؟
أفلا تتعجب أنت أيضًا من هذا الأمر، أخبرني؟ كيف أتعنوا أن
ينتظروا المكافآت والأجور بعد الموت؟
أما أنا فإن هذا الأمر بالذات يملأني دهشة وإعجابًا.

لذلك كان ينبغي أن يكون موضع إعجابنا الأكبر هو أنهم أتعنوا أناسًا
بربريين أن يقبلوا مثل هذا الإيمان، وأن يحملوا رجاءً صالحًا بالأمر
العتيده، وأن يطرحوا عنهم ثقل خطاياهم السابقة، وأن يقبلوا بكل غيرية
وحماس الأتعاب والجهادات التي تُحتمل من أجل الفضيلة.

لقد أفتح الصيادون جميع الأمم البربرية، بعدما أدخلوهم إلى أسرار الله
بواسطة المعمودية المقدسة، أن يسلكوا في طريق الحكمة الروحية
والفضيلة.

المصدر: (القديس يوحنا الذهبي الفم، مجموعة الآباء اليونانيين، ΕΠΕ،
المجلد ١٨، ص ١٥٤-٢١٤)

جاء بعضها عن تعليم كتابي بينما الآخر فقد تسلمناه وقبلناه عن
طريق تقليد الرسل باستنارة الروح القدس وكلاهما أي التعليم الكتابي
والتقليد المقدس يحمل ذات القوة التي أساسها **سر التدبير الإلهي**.

إن مساهمة وعمل الرسل القديسين **الإلهي** يرجع إلى السلطة التي
أعطاهم إيها **يسوع** ومن جهة أخرى إلى وحدة اليهود والأمم في
كنيسة المسيح الواحدة. وهذا لأن الرسل والأنبياء هم أدوات وآنية
للروح القدس قد استبانوا كأساس للتاريخ الخلاصي المقدس الذي
أعلن عنه للعالم كما يؤكد بوضوح **الرسول بولس**: «وَلَكِنِ الْآنَ فِي
الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ
الْمَسِيحِ. فَلَسْتُمْ إِذَا بَعُدَ غَرْبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقَدِيسِينَ وَأَهْلٍ
بَيْتِ اللَّهِ، مُبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحِ نَفْسُهُ
حَجَرِ الزَّوَايَةِ» (أفسس ٢: ١٣-٢٠).

على أساس الرسل قد بُنيت كل مؤسسات الكنيسة كما يؤكد هذا
دستور إيماننا والذي يدعو **كنيسة المسيح المقدسة بالرسولية**، فعلى

كيف استطاعوا، وهم مطاردون ومضطهدون، ولا يملكون من ذواتهم
أي عامل جذب، لا بلاغة، ولا جاهة، ولا ثروة، ولا مدينة، ولا أمة،
ولا حسبًا، ولا حرفة مرموقة، ولا مجداً، ولا شيئاً آخر من هذه الأمور،
بل كانت لديهم على العكس تماماً البساطة، والدُّونِيَّةُ في نظر العالم،
والفقر، والبغض، والعداوة، ومع ذلك كانوا يقفون في وجه شعوبٍ
بأكملها ويُنادون بمثل هذه التعاليم، فيقنعوهم بها؟

فإنَّ الإنجازات التي كانوا يدعون إليها كانت تتطلب جهداً عظيماً،
والعقائد التي بشرُّوا بها كانت تستتبع أخطاراً كثيرة. أمَّا السامعون
والذين كان يُنتظر منهم أن يؤمنوا، فقد تربُّوا في أحضان الترف والسُّكر
 وأنواع الشرور الكثيرة.

فمن أين أتعنواهم؟ أخبرني! ومن أين اكتسبوا هذه المصداقيَّة؟
لأنني كما قلت سابقاً: إن كانوا قد أتعنوا الناس من دون آياتٍ
وعجائب، فإنَّ المعجزة تبدو أعظم بما لا يُقاس.

وكان من الطبيعي أن يقول الموعوظون: «ما هذا الأمر؟! يمكن أن
يكون جميع سكان المسكونة قد ضلُّوا؟! أضلَّ الحكماء والخطباء
والفلاسفة والكتّاب، سواء الذين يعيشون الآن أو الذين سبقوا؟! أضلَّ
أتباع فيثاغورس وأفلاطون؟! أضلَّ القادة العسكريين والقناصل
والحكام؟! ثم يأتي **عشر صياداً** وصانعي خيام وعشارين، ويكونون
أحكم من جميع أولئك؟! ومن ذا الذي يحتمل مثل هذا الكلام؟!

ولكنهم لم يقولوا شيئاً من ذلك، ولم يخطر ببالهم هذا الاعتراض، بل
قبلوا الكرازة، وأدركوا **أنَّ الرسل كانوا أحكم** من الجميع، ولذلك غلبوا

القديس أفسافوريوس أسقف سُميساط. مجاهدٌ متقدّمٌ وحاملٌ لواءِ الأرثوذكسيةِ والمدافعُ عنها.



الاحتفال بعيد القديس أفسافوريوس أسقف سُميساط في كنيسته بجزيرة ساموس في الثاني والعشرين من حزيران شرقي

إيمانه، وفي الوقت نفسه مدّ له أيضًا يده اليسرى لكي يقطع الاثنين معًا.

وخلف قسطنطينوس يوليانوس الجاحد (٣٦٠-٣٦٣م)، الذي حاول أن يُرسخ عبادة الأوثان. وأمام هذا التحدي، وخطر انتشار ديانة الأصنام الكاذبة، لبس القديس أفسافوريوس زيًا عسكريًا، وغطى رأسه بخوذة، وطاف في سوريا وفينيقيا وفلسطين ليثبت المسيحيين في الإيمان المسيحي الحق، وفي الوقت نفسه سأم شامسةً وكهنة.

وبعد موت يوليانوس، اعتلى العرش المبتدع فاليس (٣٦٤-٣٧٨م). وما إن علّم بالنشاط الرسولي للأسقف أفسافوريوس، الذي كان يدافع عن الإيمان الأرثوذكسي بغيره مميزة ويقاوم الأريوسية، حتى قرّر نفيه إلى تراقيا.

وعندما جاء رسول الإمبراطور حاملاً مرسوم قرار نفيه، طلب منه أفسافوريوس أن يلتزم الصمت وألا يُطلع أحدًا على مضمون القرار، لأن ذلك سيؤدي إلى ثورة الشعب، ومن ثم إلى سقوط ضحايا من المسيحيين وعواقب لا يمكن توفّعها.

لكن أحد الخدام، الذي كان أفسافوريوس قد أسرّ إليه بنيته، كشف خطة رئيس الكهنة المتقدّم الغيرة، والتي كانت تقضي بأن يغادر المدينة سرًا عند حلول الليل. فأتار هذا الأمر نحيب وحرز مسيحيي سُميساط، الذين أسرعوا إلى معبر نهر الفرات ليقتنعوا أسقفهم المحبوب ألا يترك قطيعه ويبقى مكشوفًا أمام المبتدعين.

فقال لهم الأسقف الشجاع إنه ينبغي لهم أن يطيعوا الأمر الإمبراطوري، الذي يندرج ضمن تدبير الله، كما رفض أن يأخذ من المسيحيين قطعًا ذهبيّة، لأنّه كان يجب أن يُمتحن من أجل إيمانه بالمسيح. وبعد أن وعظهم بإرشاداته الروحية، مضى إلى المنفى.

وفي سُميساط أقام فاليس الأسقف أونوميوس، الذي كان قد اعتنق الأريوسية. لكنّ شعب المدينة أظهر احتقارًا عظيمًا لشخصه، حتى اضطرّ إلى مغادرتها. وقد حدث ذلك لأنّه، عندما دعا المسيحيين إلى

كان القديس أفسافوريوس أسقف سُميساط من بين الرؤساء الكنسيين الموهوبين في القرن الرابع الميلادي، الذين يُزيّنون السماء الروحية للكنيسة الأرثوذكسية، الشهيد الكاهن المجيد للمسيح، القديس أفسافوريوس، المكرّم في الثاني والعشرين من حزيران حسب التقويم الشرقي، الأسقف المتقدّم الغير على سُميساط، الذي ظهر نصيرًا لإيماننا الأرثوذكسي القويم ومحاربًا شديدًا لضلالات المبتدع آريوس.

إنّ غيرته الإلهية، وتفانيه العميق في الإيمان الحقيقي، كما صيغ في المجمع المسكوني الأول في نيقية، وروح الجهادية في الدفاع عن إيماننا الطاهر المستقيم الرأي، جعلت منه معلمًا منيرًا ومجاهدًا متقدّمًا. ولهذا دعاه القديس باسيليوس الكبير، الذي ارتبط معه بروابط المحبة الروحية والصدقة الصادقة، «حارس الإيمان الشجاع والحامي الرزين للكنائس»، بينما يمدحه القديس غريغوريوس اللاهوتي بكونه «عمود الكنيسة وقاعدتها»، و«منير العالم»، و«قانون الإيمان، وعطيّة الله، وسفير الحقيقة».

عاش القديس أفسافوريوس في أيام الإمبراطور قسطنطينوس (٣٣٧-٣٦٠م)، الذي كان يؤيّد بدعة وهرطقة آريوس. وقد انتخب القديس أفسافوريوس، المتقدّم بغيره إلهية ومحبة للإيمان الأرثوذكسي، أسقفًا على مدينة سُميساط في سوريا، الواقعة على بُعد مئتي كيلومتر شرقي أنطاكية. وجاهد كرئيس كهنة حقيقي، محبّ وذي ضمير حيّ، لأجل نشر الإيمان المسيحي وترسيخه في سائر سوريا، ولعب دورًا حاسمًا في انتخاب القديس ملاتبيوس على الكرسي البطريركي الأنطاكي.

لكنّ الإمبراطور قسطنطينوس، عندما اكتشف أنّ ملاتبيوس لم يكن فقط غير تابع لبدعة آريوس، بل كان أيضًا محاربًا شديدًا لها، طلب منه أن يُسلمه محاضر انتخابه، التي كانوا قد أودعوها عند أسقف سُميساط أفسافوريوس. بل إنّ قسطنطينوس المبتدع هدّد أفسافوريوس بأن يقطع يده اليمنى إن رفض أن يُسلمه المحاضر. حينئذ أجاب رئيس الكهنة الشجاع للمسيح بجرأة أنّه لن يُسلمه قرار الانتخاب ولن يخون

الأرثوذكسي ويُهمَّشُ مرارًا، يبرزُ **القديسُ أفسافيوس**، رئيسُ كهنةٍ سُميساط الفاضلُ والمحَبُّ **والمستشهد**، **بدهيبِ إيمانه** الذي لا يخبو **وغيرته الإلهية**، مُلهمًا ومرشدًا في مسيرتنا **الروحانية الأرثوذكسية**، لكي نُعيدَ تحديدَ معالمِ إيماننا المسيحيِّ. ذلك الإيمان الذي ينبغي أن يكونَ خاليًا من الضلالاتِ والخرافاتِ والتعاليمِ الهرطوقية، حتى نستحقَّ نحنَ أيضًا، بشفاعاته ومثاله النير، **نعمةَ الله**، كما استحقَّها هو أيضًا.

ما رأيك يا أبتى الطيب، هل سنخلص؟

كان كل من يلتقيه في الطريق، بعد أن يقول له: «بارك»،
يطرح عليه هذا السؤال! ولم يكن يقول شيئاً آخر!
ولم يكن يشغل فكره أمر سواه!

من كان هذا الرجل؟ إنه الشيخ فيكنديوس!
راهبٌ مبارك من جبل آتوس المقدس،
في إسقيط القديسة حنة، مجهول لدى الكثيرين،
لكنه معروف عند الله، لم يكن يكف عن الصلاة،
وكان يصرخ بصوت قوي قائلاً:

«**خَلِّصيني يا والدة الإله! خَلِّصيني. ارحميني!**»

كنت تسمع صوته يخرج من أعماق الألم والقلق!
كانه ينبعث من صدرٍ مجروح!

ولماذا كان يفعل ذلك؟ لأنَّ قضيةَ خلاص نفسه
كانت تشغله بجذبة وبلا انقطاع!

«**خَلِّصيني يا والدة الإله**»،

وكانت دموعه تجري كالنهر!

"لا تدعيني أمهلك. فمن أجل محبة ابنك
جئتُ إلى هنا منذ طفولتي. خَلِّصيني
يا والدة الإله، خَلِّصيني!"

وسواء أكان يعمل أم يصلي، أم يسير في الطريق،
كان يبكي ويهتف:

«**خَلِّصيني يا والدة الإله!**»

وهكذا ظل إلى أن رقد بالربِّ رقاداً قديسًا.
ذلك البطل في صلاة النحيب والتضرع!

أما أنا وانت، فهل سبق أن سألتنا أحداً يوماً:
"ما رأيك يا أبتى الحبيب،

هل سنخلص؟"

بتصرف عن كتاب: «شخصيات آتوسية معاصرة:
بوانكم الأغياياتي»، الجزء الأول، ص 31-32.
ضمن كتاب «حوارات رعائية» للاب كاليثيوس.

يا شيخ، ماذا ينبغي أن نفعل عندما نريد أن نتضرع إلى أحد القديسين من أجل أمرٍ ما؟

- ◆ أولاً، ارموا إشارة الصليب
باسم الثالوث القدوس.
- ◆ ثم قولوا صلاة والدة الإله:
«**أفرحي أيتها الممتلئة نعمة، يا مريم**»
- ◆ وبعد ذلك ادعوا القديس ثلاث مرات.
فعلى سبيل المثال:
«**أبها الشهيد العظيم القديس جاورجوس،
تشفع إلى الله من أجلنا.**»
- ◆ ثم اطلبوا ما تريدونه، ولكن ليكن ما
تطلبونه نافعا لخلاص النفس.
- ◆ هذا هو ما ينبغي أن تطلبوه.

من كتاب نانا ميركفيلازة:
**القديس غبريال المتباليه
من أجل المسيح والمغترف.**

الدخول إلى الحمام الذي كان قد استحتم فيه، رفض المسيحيون،
لأنهم كانوا يعتقدون أن المياة قد تنجست ببدعة آريوس، التي كان
أونوميوس من أتباعها. بل طالبوا أيضًا بتبديل المياة لكي يدخلوا إلى
الحمام.

وخلف أونوميوس لوقيوس، الذي كان هو أيضًا مناصرًا متعصبًا
للأريوسية. وكان يُحاربُ **الإيمانَ الأرثوذكسيَّ** بعنفٍ شديد، حتى إنه
أقع الحكام بنفي أولئك الإكليريكين الذين كانوا يدافعون بثبات عن
عقائد الإيمان الأرثوذكسي، مثل **الشماس أفولكيوس والكاهن
أنطيوخوس**.

وفي أثناء ذلك، لقي فالس موتًا بغيضًا للغاية خلال حملة ضد القوط
سنة ٣٧٨م، فتسلم **الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير السلطنة
الإمبراطورية، وأعاد الحريّة** إلى أحضان الكنيسة. وهكذا عاد **القديس
أفسافيوس**، بعد أربع سنواتٍ من النفي، إلى سُميساط وإلى قطيعه
المحبوب، الذي استقبله بفرحٍ وابتهاجٍ لا يُوصفان.

وفور عودته سعى إلى إعادة النظام الكنسي، فرسم أساقفةً جددًا في
بيرية، وهيرابوليس، وخلقيدونية، ومدنٍ أخرى. وكان آخرُ من رسمه
أسقفًا **القديس أفسافيوس** هو **مارين أسقف مدينة دوليحي** وهي
مدينة قديمة من بلاد سوريا التاريخية، تقع اليوم في جنوب تركيا، التي
كانت بدعة الأريوسية قد انتشرت فيها.

لكن عندما كان **القديس أفسافيوس** يدخلُ المدينة مع **الأسقف
الجديد**، قامت امرأة كانت من الأتباع المتعصبين للأريوسية، فرمت
من فوق أحد السطوح قرميدة على **رأس القديس**، فقتلته.

وقد تمت شهادة **الأسقف المتقد الغيرة والشهيد الكاهن المجيد
للمسيح، القديس أفسافيوس**، في الثاني والعشرين من حزيران شرقي
سنة ٣٧٩، وهو أيضًا يوم الاحتفال بذكره الكريم جدًا.

وقبل أن يُسلم روحه إلى **الربِّ الديان العادل**، طلب من الحاضرين
أن يتعهدوا بالإيمان ألا يعاقبوا المرأة التي ارتكبت جريمة القتل. وبهذه
الطريقة نال **القديس أفسافيوس إكليل الشهادة غير الفاني**، وإذ اقتدى
يسوع المسيح، وكذلك **برئيس الشهداء المجيد إستيفانوس**، طلب أن
يُغفر للمبتدعين الأشرار الذين قتلوه.

في جزيرة ساموس التاريخية المباركة برجالها العظام، وتحديدًا في **باليو
كارلوقاسي** الخلابية والتقليدية، التي هي أيضًا مسقط رأس صاحب
السيادة المتربوليت أفسافيوس، مطران ساموس وإيكاريا وكورسيون،
شيدت على نفقته الخاصة واهتمامه كنيسة صغيرة بديعة على اسم
القديس شفيعه وحامل الاسم نفسه.

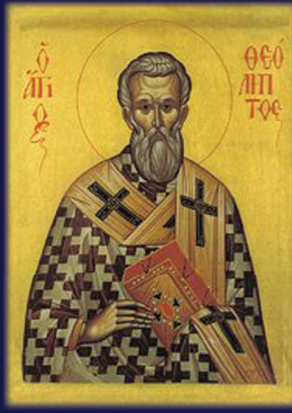
وفي الساحة الواسعة التابعة لهذه الكنيسة الصغيرة الخلابية، التي تُعتبر
أيضًا الكنيسة الوحيدة المسجلة في اليونان على اسم **القديس
أفسافيوس**، يُقام سنويًا، في الحادي والعشرين من حزيران، صلاة
الغروب الاحتفالية الحريّة، التي يتوافد إليها عددٌ كبيرٌ من المؤمنين
لتكريم **الشهيد الكاهن المجيد للمسيح المحتفل به**.

في هذه الأزمنة العصيبة، التي يضعف فيها الإيمان المسيحي

الحياة الروحية بحسب أبوين نُسكيين عظيمين من القرن الرابع عشر: القديس غريغوريوس السينائي، والقديس ثيوليتوس الفيلاذلفي المُعترف.



القديس
غريغوريوس السينائي



القديس
ثيوليتوس الفيلاذلفي المُعترف



التعاضد بين نعمة الله وجهاد الإنسان

والتي أفسدتها عدم الإيمان والخطيئة، وجددها، وألقى في نفوسهم بذور **معرفة الله** والفضيلة». فأبى استعداد يبقى عقيماً، وأبى نقاوة تبقى ناقصة، ما لم يتحقق اللقاء مع الآخر، وما لم تنشأ منه علاقة محبة. وحتى أنقى أفكار القلب تُوصَف بأنها بخورٌ غيرٌ محترق، لا تفوح رائحته الزكية إلا إذا احترق. وهكذا «فإن النفس، ما دامت تعيش خارج **المحبة الإلهية**، لا تُرضي الله. أما حين تقترب أفكارها النورانية من مبحرة هدوء القلب، فإنها تشتعل حالاً بنار المحبة، وتصير كلها متسامية ومرتفعة». وفي هذه الصياغة يظهر بوضوح تحديداً مساهمة كل طرف - **الإلهي والبشري** - في اللقاء وفي العلاقة اللاحقة أيضاً. فالغاية تبقى دائماً **النار الإلهية** كفعل ومبادرة من الله. غير أن الشرط الضروري لكي تتذوق النفس نورها وحرارتها، هو أن يُعد الإنسان قلبه ليشتعل **بنار النعمة الإلهية**. بين الله والإنسان، اللذين يجمعهما تشابهٌ روحي، مع بقاء الفرق الجوهرى بين الخالق والمخلوق..، لكن مع اختلافٍ مطلق، يُجول ألم انسحاق القلب من خبرة موتٍ إلى رجاء حياة. ويستخدم **القديس ثيوليتوس** **آلام المسيح** ذات البُعدين - **الموت والقيامة** - ليصوّر هذا العمق الروحي في قلب الإنسان، حيث يمتزج الألم بالرجاء، والانكسار بالقيامة (٤). فالإنسان الذي يسحق كبريائه يعيش، بطريقة ما، دفن وجوده. لكن قبره هذا لا يحتضن نهائياً، بل «إذ يجعل قلبه كقبرٍ جديد، يدفن فيه ويُحزّن **سيرة الرب** على الأرض».

ملحوظة:

يُشبّه القديسان القلب المنسحق بالقبر الجديد، لا لأنه مكان موتٍ وألم، بل لأنه الموضوع الذي يُدفن فيه الإنسان القديم بأهوائه وكبريائه، لكي تبدأ فيه حياة المسيح. ولهذا فإن هذا «القبر» يحمل في داخله الألم والانكسار، لكنه يحمل أيضاً الرجاء والقيامة والحياة الجديدة بالمسيح.

وعليه، فإن الصلاة العقلية تعمل بطريقتين: فإما أن «تصير الفاعلية في القلب، أي مع تناقص الأهواء، من خلال الاستعداد المتواصل **ليسوع المسيح**»، وإما أن «تجذب الروح العقل إلى ذاتها، إلى عمق القلب، حاصرة إياه ومانعة إياه من التشتت المعتاد». وفي الحقيقة، فإن الأمر يتعلق بوجهين لعملة واحدة. فما يُحاول إنجازه بشرياً، وبالتالي بصورة ناقصة، بحسب الطريقة الأولى، تتولى **النعمة الإلهية** إكماله وتكميله بحسب الطريقة الثانية (١).

ومنذ اللحظة التي تعمل فيها النعمة في الإنسان، يصير هذا الأخير أداة لها. فتكون إرادته قد خمدت، «لأن الله هو العامل فيكم أن تُريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة». (في ٢: ١٣)، وبهذه الطريقة يتحقق **اتحاد الإنسان بالمسيح**. والأدق أنه يصير عضواً في المسيح، «ومن هنا... حاملاً في ذاته، بحسب الرسول، صورة الحقيقة والمعرفة». وهذه هي حالة الكمال، التي تتحقق فيها **المشابهة لله** (٢). فتظهر حينئذٍ ثمار **المعمودية الإلهية** في الإنسان. أما الروح الذي كان ساكناً سرّاً في القلب، فقد صار الآن فعلاً عاملاً. إنها **ثيوفانيا حقيقية**، أي إنه اختبارٌ حقيقي **لحضور الله**. تتحقق في كل إنسان على حدة، كعربون ومقدمة «للغبطة الأبدية هناك، وللمشاركة في فيض النور الذي لا يُنطق به...». وهكذا تكون المعمودية المائية قد صارت روحية (٣).

وكما هو الحال عند **القديس غريغوريوس السينائي**، كذلك أيضاً عند **القديس ثيوليتوس الفيلاذلفي**، فإن حالة القلب تُشكل معياراً للحالة العاقلة للوجود البشري. فالقلب الذي شُفي لدى أولئك الذين اجتازوا الطريق الروحي، يرى الآن أن ذلك الذي يلتقون به اليوم قد بدأ منذ زمن بعيد عمله الخلاصي لأجل الإنسان، «كما لو أنه بالحراث، أي بالصليب الكريم، قد شقّ قلوب البشر المولعة بالمادة،

إنَّ التعاضدَ بينَ النعمةِ الإلهيةِ والوجودِ البشريِّ يتجلى بصورةٍ خاصةٍ في الصلاة، التي لا تكفي فقط بالتطلعِ إلى مَنْ تُخاطبه (٥)، بل تعترفُ أيضًا بأنَّ جميعَ أدرانِ النفس لا تزولُ إلَّا «بواسطةِ المسيح»، الذي يُشرقُ في القلبِ من خلالِ الصلاةِ وذرفِ الدموعِ المنسكبةِ بخشوعٍ.

وفي هذه المرحلةِ الأخيرة من المسيرةِ الروحيةِ، تتحوّلُ الصلاةُ إلى صمت، ويُفادُ العقلُ إلى وظيفتهِ العليا: أي إلى معرفةِ الربِّ بوصفه بدايةً كلِّ شيءٍ ونهايتهِ. «لأنَّه هو كمالُ الفضيلة، وهو واهبُ معرفةِ الموجودات، وهو أفضلُ شارِحٍ للاهوت...».

الشواهد:

- ١) «لسنا نحن الذين نجمع عقولنا إلى داخل قلوبنا في الصلاة بقوانا الذاتية المجردة، بل البارقليطُ أي الروح القدس الحالُّ فينا».
- ٢) الإنسان الكاملُ هو الذي بلغَ إلى قامتهِ المسيحِ الروحيةِ.
- ٣) أن تُصليَ يعني أن تنتقلَ من مرحلةِ نعمةِ المعموديةِ الموجودةِ في قلوبنا سرًّا وبدون وعي، إلى مرحلةِ الإدراكِ الكاملِ والوعيِ التام، حيث نشعرُ بفاعليةِ النعمةِ بصورةٍ مباشرةٍ وفوريةٍ.
- ٤) كما نلفُ جسدَ الربِّ بكفن، كذلك نلفُه بقلبنا.
- ٥) «(أي العقل) إذ يُردِّدُ صوتَ الصلاةِ في وسطِ القلب، يكونُ معه يسوعُ المسيح، ملاكُ المشورةِ العظيمة».

عطيةً من الله، وفرصةً للتوبة، ونداءً هادئاً من السماء لكي يُصلح الإنسان قلبه قبل أن يُظلم الليل. لذلك لم يكن القديسون يخافون الموت بقدر ما كانوا يخشون حياةً تُنفق بلا معنى، بلا مسيح، وبلا حق.

كم من أناسٍ ينتظرون «الوقت المناسب» لكي يحبوا، أو يسامحوا، أو يعودوا إلى الكنيسة، أو يرفعوا صلاةً، أو يحتضنوا أحبائهم. لكنَّ الزمن يمضي بصمت. وعندما يستفيق الإنسان، يكشف أن أتمن ما في حياته كان غالباً ما أجله وتركه وراءه.

لذلك يقول النبي داود: «عَلَّمْنَا أَنْ نُحْصِيَ أَيَّامَنَا، فَنُؤْتِي قَلْبَ حِكْمَةٍ» (مز ١٢: ٨٩ سبعينية).

إنَّه لا يطلبُ أيَّاماً أكثر، بل حكمةً لكي يعيش الأيام التي أُعطيت له كما يليق بالله.

لا تدعُ نفسك تتغطى بغيار الأمور الفارغة التي لا تقود إلى شيء. أطفئ كلَّ ما يجذبك بعيداً عن سلام الله. تمسكْ بالناس الحقيقيين، وبالكلمات النقية، وباللحظات الصادقة. بصلاة هادئة في الليل. بشمعة مضاءة. وبكلمة «سامحني» خارجةً حقاً من القلب. فهذه الأمور الصغيرة في نظر العالم هي التي تجعل الزمن ذا قيمةً أبديةً.

سيأتي يومٌ يصمت فيه كلُّ شيء: الساعات، والطرق، والأصوات، والهجوم. وحينئذٍ لن يبقى سوى ما أحببته نفوسنا بصدقٍ أمام الله.

ربّما، في النهاية، لا تُقاس الحياةُ بعدد السنين، بل بمقدار النور الذي حملته.

«الوقتُ مُنذُ الآنَ مُقَصَّرٌ» (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ٢٩) كما يقول القديس بولس الرسول.

تذكّرُ أنَّ كلَّ يومٍ يُشرق هو فرصةٌ جديدةٌ للعودة، وللتصحيح، وللخلاص.

إلى تلك النفوس التي تعبت من العالم، لكنّها ما زالت ترجو بصمتٍ رحمة الله.

فلا تدعِ الزمن يمرُّ بلا صلاة، وبلا محبة، وبلا حقيقة في قلبك.

لا تُعدِّ الزمن... بل اجعله ذا وزنٍ أمام الله.



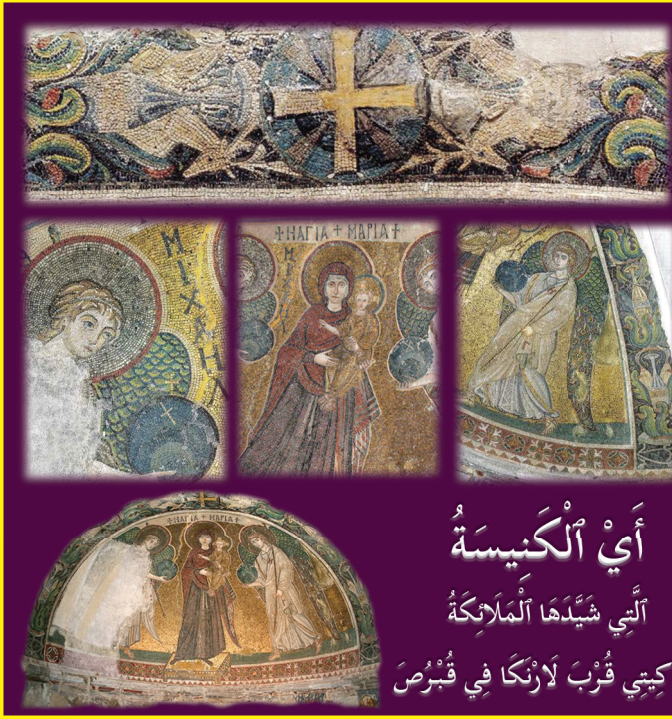
لا تُعدِّ الزمن... بل اجعله ذا قيمة! أطفئ / امحُ كلَّ ما لا يقودك إلى الأمام. شذرات روحية من جبل آثوس المقدس

لا تُعدِّ الزمن... بل اجعله ذا وزنٍ أمام الله.

«مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ.» (أف ٥: ١٦)، هكذا يكتب الرسول بولس إلى أهل أفسس. وفي هذه العبارة القصيرة تنكشف حقيقة حياة الإنسان كلها. فليس طولُ السنين هو الذي يُخلِّص الإنسان، بل الكيفية والتنهج اللذان وقفَ بهما داخلَ هذه السنين. فكم من إنسانٍ عاش طويلاً ولم يترك وراءه سوى الفراغ، وكم من آخر عاش قليلاً، لكنَّه خلَّفَ نوراً، وصلاةً، ومحبةً، وبركةً.

الزمنُ ليس مجرد ساعاتٍ وأيامٍ تمضي كالرمل بين أيدينا، بل هو

الْعَذْرَاءُ «الْمَلَائِكَةُ الْبِنَاءُ» ΠΑΝΑΓΙΑ Η ΑΓΓΕΛΟΚΤΙΣΤΗ



أَيُّ الْكَنِيسَةِ
الَّتِي شَيَّدَهَا الْمَلَائِكَةُ
فِي كَيْتِي قُرْبَ لَارَنكَا فِي قَبْرُصَ



ترميم جرت في القرن السادس، يبدو أنه تم تنفيذ فسيفساء **والدة الإله الحاملة الطفل**، وإلى جانبها رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل الخادمان بخشوع.

ومع مرور الزمن تعرّضت الكنيسة لتغييرات وإضافات متعدّدة. ففي القرنين الثاني عشر والثالث عشر بُني في الجهة الشماليّة من الكنيسة مصلى صغير، يُحتمل أنّه كان ذا طابع جنائزي، مكرّساً **للقدّيسين الطيبين عادمي الفضة قرما ودميانوس**. كما بُني نحو سنة ١٣٠٠ في الجهة الجنوبيّة مصلى لاتيني ذو طابع جنائزي أيضاً. وفي القرن التاسع عشر هُدم الجدار الغربي وتمّ توسيع الكنيسة من تلك الجهة.

وخلال عقدي ١٩٥٠-١٩٦٠ أُجريت أعمال ترميم واسعة للكنيسة والأبنية الملحقة بها. وفي سنة ١٩٥٥ قامت دائرة الآثار بهدم برج الأجراس المرتفع الذي بُني في أوائل القرن العشرين، وكان قائماً في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة من المصلى اللاتيني، وذلك ليُقام بدلاً منه برج أصغر وأخفّ وزناً عند مدخله الجنوبي، على الطراز القوطي. ومؤخراً، بين عامي ٢٠٠٨ و ٢٠١٠، أُجريت أعمال ترميم إضافيّة، ولا سيّما في داخل الكنيسة.

التقاليد الشعبيّة حول الكنيسة

إنّ التقليد الشعبي الشفهي، وإن لم يكن دليلاً قاطعاً، إلّا أنّه يحفظ أحياناً معلومات مهمّة يمكن من خلالها تتبّع أحداث تاريخيّة أو غيرها. وبحسب التقليد الشعبي في المنطقة، فإنّ سكّان كيتيون القديمة، بسبب الغزوات، قرّروا الانتقال إلى كيتي طلباً للأمان. وعندما وصلوا إلى هناك قرّروا بناء كنيسة على اسم **والدة الإله**. لكنّهم عندما بدأوا بالبناء كانوا يكتشفون في اليوم التالي أنّ أساسات الكنيسة قد انتقلت إلى مكان آخر. فشرعوا عندئذٍ في البناء في الموقع الجديد، ولاحظوا أنّ الأعمال كانت تتقدّم بسرعة

الْعَذْرَاءُ «الْمَلَائِكَةُ الْبِنَاءُ»

كَنِيسَةُ وَالِدَةِ الْإِلَهِ فِي كَيْتِي، قُرْبَ لَارَنكَا - قَبْرُصَ

تُعَدُّ كَنِيسَةُ **والدة الإله «الملائكة البناء»** في كيتي التابعة للارنكا، من أهمّ المعالم الأثريّة، وهي معروفة ليس فقط في قبرص، بل أيضاً خارجها، ولا سيّما بسبب الفسيفساء المهمّة السابقة لعصر تحطيم الأيقونات، والتي تزين نصف قبة الحنية. وتقع قرية كيتي في الجهة الجنوبيّة من قبرص، على بُعد نحو ١٢ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة لارنكا ومدينة كيتيون القديمة.

أوّل إشارة مكتوبة إلى هذه الفسيفساء المسيحيّة القديمة وردت على يد **الراهب والرحالة الروسي الدقيق والموثوق باسيلوس بارسكي**، الذي زار القرية سنة ١٧٣٦. كما يذكر بارسكي أنّ القرية كانت في زمن ما مقرّاً لأسقف. ومن المرجّح جدّاً أنّ هذه الإشارة ترتبط بصدى أحداث تاريخيّة تتعلّق بنقل أسقفية كيتيون لفترة معيّنة من كيتيون القديمة إلى هذه القرية الحصبة، مع الاحتفاظ باسم المملكة القديمة في تسميتها. وهذه الفرضيّة المتعلّقة بانتقال السكّان يعزّزها أيضاً التقليد الشعبي المحلي، كما سنرى لاحقاً.

أمّا الكنيسة الحاليّة **لوالدة الإله «الملائكة البناء»**، فهي مبنيّة على الطراز الصليبي المقبّب، وتعود إلى القرن الحادي عشر، وقد شُيّدت فوق أنقاض بازيليك مسيحيّة قديمة ذات ثلاثة أروقة وسقف خشبي تعود إلى القرن الخامس. وقد حُفظ من تلك البازيليك القديمة وأدمج في الكنيسة الحاليّة: السنثرونون (أي المكان الذي كان يجلس فيه الأسقف والإكليروس) خلف المذبح المقدّس، والحنية التي تضمّ فسيفساء **والدة الإله**، وأجزاء من تجاويف الجانبيين، بالإضافة إلى بعض العناصر المعماريّة.

وكانت حنية الهيكل في الأصل غير مزخرفة، لكن بعد أعمال

كبيرة، فيما كانوا يرون ليلاً **جموعاً من الملائكة** بينون الكنيسة. ومن هنا أخذت الكنيسة لقب **«الملائكية البناء»**.

الفسيفساء

تُعتبر فسيفساء **والدة الإله «الملائكية البناء»** في كيتي واحدة من أشهر الأعمال الجدارية في العالم المسيحي القديم التي بقيت محفوظة حتى اليوم.

وقبل الاجتياح التركي سنة ١٩٧٤، كانت توجد في قبرص أيضاً فسيفساءان مسيحيان قديمتان أحريان في حنايا كنائس تُصوّر فيهما **والدة الإله**: الأولى في كنيسة باناغيا كاناكاريا في ليشرانغومي بأموخوسطوس، حيث تظهر **والدة الإله جالسة على العرش حاملة الطفل (الثالث الأول من القرن السادس)**، والثانية في كنيسة باناغيا كيرا في وضعية التضرع **(النصف الأول من القرن السابع)** في قرية ليفاذيا التابعة لمنطقة أموخوسطوس.

وقد اقتلعت الفسيفساء الأولى بطريقة همجية على يد تاجر الآثار أيدين ديكمن، مما لحق بها أضراراً لا يمكن إصلاحها، وحُفظ بعض أجزائها اليوم في متحف مؤسسة رئيس الأساقفة مكاريوس في نيقوسيا، فيما توجد أجزاء أخرى في مستودعات شرطة ميونيخ في ألمانيا. أما فسيفساء باناغيا كيرا فقد دُمّرت للأسف بعد الاجتياح التركي.

وفي كيتي تُظهر الفسيفساء **والدة الإله** واقفة تحمل **الطفل يسوع** على ذراعها اليسرى، فيما يقف إلى جانبها **رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل**. وتُعتبر هذه صورة أثرية ضخمة محفوظة **لوالدة الإله الحاملة الطفل**. ويظهر **السيد المسيح** مرتدياً ثياباً ذهبية، يحمل بيده اليسرى درجاً مغلقاً، بينما يبارك بيمينه. **وتقف والدة الإله** على موطنٍ فاخر يقطع الشريط الزخرفي ذي الأشكال الهندسية، مما يعطي انطباعاً بأنها تتقدم إلى الأمام.

وعلى يسار **والدة الإله** يظهر **رئيس الملائكة جبرائيل** بوجه صارم، متقدماً نحوها بخطوة حيوية واسعة، في تلميح إلى دوره **في البشارة**. ويحمل في يده اليسرى صولجاناً، وفي اليمنى كرة تتوسطها علامة الصليب، رمزاً لسيادة **المسيح على العالم**.

أما على يمين **والدة الإله** فيقف **رئيس الملائكة ميخائيل**، الذي تعرّض جزء كبير من صورته للأسف للتلف، ويبدو أكثر هدوءاً وثباتاً، بعينين زرقاوين وشعر أشقر مائل إلى البني، في صورة ذات جمال أخاذ. ويرتدي الملائكان، ذوا الجمال الكلاسيكي، ثياباً بيضاء شبيهة بثياب الفلاسفة، كما يحملان أجنحة طاووس مدهشة **ترمز إلى الخلود والأبدية**.

وقد كُتب فوق **والدة الإله** في هذه الكنيسة لقب: **«القديسة مريم»**، وهو لقب يثير تساؤلات عديدة حول معناه اللاهوتي، لأن **المجمع المسكوني الثالث في أفسس سنة ٤٣١م**، ردّاً على تعاليم **نسطور الهرطوقية**، منح العذراء اللقب **العائدي «والدة الإله»**.

وقد أثار التفسير اللاهوتي لهذا اللقب نقاشات كثيرة بين الباحثين، لأن لقب **«القديسة مريم»** كان يُستعمل في تلك المرحلة بصورة خاصة في المقاطعات المونوفيزية في الشرق. ويُذكر أنّ المصادر تشهد أيضاً على وجود جماعات مونوفيزية قوية في قبرص خلال **القرن السادس**.

وفي إطار القوس توجد زخارف نباتية وحيوانية تضم أوراق الأقتنا، وإناءً نافورنياً، وبطاً، وبيغاوات، وغزلاناً، تتكرر بصورة متماثلة ومتوازنة على الجانبين. وتحمل البيغاوات حول أعناقها شريطاً زخرفياً، وهو عنصر أيقونوغرافي مستمد من الفن الساساني الفارسي. كما تحمل أنصاف الغزلان في أعلى القوس صليباً شعاعياً ذي نهايات على شكل قطرات بواسطة قرونها. ونجد زخارف مشابهة في فسيفساءات وتمثيلات أخرى من سوريا وكذلك من رافينا في إيطاليا. ولا نعرف جنسية الفنانين الذين نفذوا هذه الفسيفساء، لكن يبدو أنهم كانوا متمكنين من التقليد الفني للمراكز الفنية الكبرى في عصرهم، ومتأثرين أيضاً بعناصر شرقية مهمة اندمجت بانسياب رائع في هذا العمل الفريد، الذي يعود تاريخه **إلى الربع الأخير من القرن السادس**، أي تقريباً إلى عهد **الإمبراطور موريسوس (٥٨٢-٦٠٢م)**.

الجداريات في الكنيسة الرئيسية

توجد في الكنيسة أيضاً جداريات تعود إلى **منتصف القرن الثالث عشر**، منها صورة نصف متلفة **لوالدة الإله الجالسة على العرش** على الواجهة الجنوبية للدعامة الشمالية الغربية، وأخرى للبشارة فوق الحاجز الأيقوني. وفي **الهيكल المقدس** حُفظ جزء من جدارية **للقديسة سالومي** تحمل درجاً. أما أفضل الجداريات حفظاً فهي الموجودة على الدعامة الشمالية الشرقية، وتمثل **القديس يوحنا السابق** ممسكاً بدرج مفتوح يحمل العبارة: **«توبوا لأنّ ملكوت السماوات قد اقترب»**.

أيقونات الكنيسة

تُحفظ في **كنيسة والدة الإله** في كيتي أيقونات مقدسة تعود إلى عصور وأساليب فنية مختلفة، من **القرن الثالث عشر حتى القرن العشرين**. وفي الخزانة الصغيرة للأيقونات الموجودة داخل المصلّى اللاتيني تُحفظ إحدى وعشرون أيقونة قديمة. لقد شكّلت **كنيسة «الملائكية البناء»** في كيتي، منذ أكثر من قرن، مرجعاً ثابتاً للباحثين في الفن المسيحي، ولا سيما في تطوّر فنّ الفسيفساء والأيقونوغرافيا في العالم المسيحي القديم.

كما تُعدّ من أبرز معالم التراث العالمي، ولذلك ينبغي بلا شك أن نشعر بتجاهها بالفخر، وأيضاً بالمسؤولية والاهتمام الدائمين اللذين يجب أن تحظى بهما من الجميع، الكنيسة والدولة معاً.

أندرياس فولياس

لاهوتي - متخصص في الدراسات البيزنطية

تكن تستعجل أبدًا. ولا مرّة واحدة. لأنّ أناس اليونان القديمة لم يتعلّموا مطاردة الوقت، بل تعلّموا احتمالاً.

وبجانها وقفت **لينو الصغيرة**، بعينين مملوءتين دهنشاً، ونفسٍ لم يكتب العالم عليها بعد. كانت تنظر إلى القدر كما لو أنّها تنظر إلى سرّ كنسيّ. قالت: «جدّتي، كيف تعرفين أنّه أصبح جاهزاً؟» ابتمت العجوز ابتسامة خفيفة وقالت: «الحليب يتكلّم يا طفلي. كما تتكلّم قلب الإنسان حين لا يكون قد امتلأ بعد بالضجيج.» ثمّ رسمت إشارة الصليب بصمت قبل أن تُلقِي المنفحة في الحليب. «كلُّ شيء يحتاج إلى بركة. فبدون البركة لا يختمر الخبز، ولا يثبت البيت، ولا يكبر الطفل بصورة مستقيمة.»، وفي الجهة الأخرى كان **ميخائيس**، ابنها، يقف والعصا الرعويّة بيده، وعيناه شاردتان نحو السفوح. كانت الخراف تقلّ سنّةً بعد سنة. والحظائر تفرغ. والقرى تصمت. والأولاد يرحلون إلى المدن، يطاردون حياةً بلا جذور.

قال بصوت منخفض: «أمّي... لن يبقى أحد. كلُّ شيء ينتهي.» توقفت **إيليني** عن التحرك، وأغلقت عينها بهدوء. «الأشياء لا تنتهي حين يترك الناس القرى، بل تنتهي حين يترك الله قلوبهم.» فسكت الجميع. ولم يُسمع سوى صوت النار.

أمّا الصغيرة فلم تكن بعد تفهم معنى الخراب والوحدة. لم تكن تعرف شيئاً عن الحظائر المهجورة والبيوت المغلقة. كانت تعرف فقط أنّ تلك اللحظة مليئة بالدفع، وأنّ يدي جدّتها تحملان في داخلهما أماناً، وأنّ الحليب يتحوّل أمامها إلى طعام وبركة.

وتابعت العجوز ببطء: «الإنسان اليوم يريد كلَّ شيء بسرعة. خبزاً سريعاً. حبةً سريعة. حياةً سريعة. لكنّ كلَّ ما يُصنع بلا تعب يبقى فارغاً. الله لا يعمل في العجلة، بل يعمل في الصمت والصبر.» «بصبركم اقتنوا أنفسكم.» (لوقا ٢١: ١٩)

كان الجبن يتماسك ببطء داخل القدر، كأنّ شيئاً حيّاً يولد. وكانت **إيليني** تقطعه برفق، ثم ترفعه في قطعة القماش وتتركه ليصقّي نفسه. وكانت الصغيرة تراقب كأنّها تشاهد طقساً مقدّساً. وفي الحقيقة، كان كذلك. لأنّ تقليد هذا المكان لم يكن مجرد صفات وتقنيات، بل كان أسلوب وجود. كان صلاةً بلا كلمات. وكان تواضع الإنسان أمام خليقة الله.

وذات يوم، سأل أحد المنتزهين الغريب عن ثمن الجبن، فنظرت إليه العجوز بعمق وقالت: «أنت لا تشتري حليباً فقط. أنت تشتري السهر. تشتري المطر والصقيع. تشتري ركباً انحنى فوق الجبل. تشتري صلواتٍ رُفعت في الليل حين كانت الحيوانات تنفق (توت). لكن هذه الأمور لا تدخل في السعر.» فأطرق الرجل رأسه. لأنّ العالم المعاصر تعلّم أن يقيس كلَّ شيء بالمال، وتقريباً لا شيء بالتضحية.

وفي المساء، قطعت الجدة قطعةً صغيرة من الجبن الدافئ، ووضعتها فوق خبزٍ خشن، وأعطتها للصغيرة.

طعمُ الذّاكرة

Η ΓΕΥΣΗ ΤΗΣ ΜΝΗΜΗΣ

Κάποιες γεύσεις είναι άνθρωποι.
Κι όταν φύγουν,
παίρνουν τη συνταγή μαζί τους.

ΠΑΡΑΔΟΣΗ • ΠΙΣΤΗ • ΚΟΠΟΣ • ΑΓΑΠΗ
ΤΟ ΑΛΗΘΙΝΟ ΔΕΝ ΣΥΣΚΕΥΑΖΕΤΑΙ.

بعضُ الأذواق هي أناس. وعندما يرحلون، يأخذون الوصفة معهم.

التقليد • الإيمان • التعب • المحبة الأصيل لا يُعلَب.

شذرات روحية من جبل آثوس

«أكرم أباك وأُمَّك لكي يكون لك خيرٌ.» سفر الخروج ٢٠: ١٢
«فأثبتوا وتمسكوا بالتقليد.» ٢ تسالونيكي ٢: ١٥

كان القدر يُرسل بخاره داخل الحظيرة الحجرية، وكان دخانُ الحطب يرتفع ببطء نحو العوارض المُسوّدة، كأنّه بخور ليتورجيا فقيرة. في الخارج، كان الجبل واقفاً بصمتٍ تحت السماء الرمادية. وكانت أجراسُ الكنيسة الصغيرة المكرّسة للنبي إيليا تُسمع من بعيد، كأنّها آتية من زمنٍ آخر. أمّا الهواء فكان يفوح منه عبيرُ الحليب الساخن، والتراب المبتل، والتعب الإنساني.

كانت العجوز **إيليني** تقف إلى جانب النار، وقد ربطت غطاءها الأسود بإحكام تحت وجهها. وكانت يداها، الموشومتان بآثار الزمن والعمل، تُحرّكان الحليب ببطء بواسطة المعلقة الخشبيّة. لم

وسقطت دمعة فوق الجفن الأبيض. وفي تلك اللحظة سمعت مجدداً صوت جدتها في داخلها: «يجب أن تُصغي إليه»، وعندها أدركت أنها لم تكن تتحدث عن الحليب فقط. **بل عن الحياة.**

فهناك أمور لا تُسَلَّم بالكتب، ولا تُشترى من المتاجر، بل تُنقل فقط من قلبٍ إلى قلب. وحين يموت أولئك الناس الذين عاشوا **بمخافة الله، والتعب، والصلاة، والنقاوة، يرحل معهم عالمٌ كامل.**

«لا تنقل التَّحوم الأبدية التي وضعها أبأوك». **الأمثال ٢٢: ٢٨**

وقال القديس بايسيوس من جبل آثوس:

«قَدْ يَكُونُ النَّاسُ أَقْدَامَى أُمَّيِّنَ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَمْلِكُونَ نُبُلَ النَّفْسِ وَالْإِيمَانِ. أَمَّا الْيَوْمَ فَهُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُتَطَوَّرَةِ، لَكِنَّ الْقُلُوبَ وَالْأَفْكَارَ مُضْطَّرِبَةٌ.»

ولعلَّ هذه هي في النهاية أعظم مجاعة يعيشها الإنسان المعاصر. ليست قلة الطعام. **بل غياب الأيدي المباركة.**

«تذكّري هذا الطعام...» ... أجابت **لينو الصغيرة** «لماذا؟»

تنهدت **إيليني** بعمق وقالت: «لأنَّه سيأتي زمنٌ يكون فيه الناس يملكون كلَّ شيء، ولا يجدون شيئاً. ستكون الرفوف ممتلئة، لكن النفوس فارغة.» «**لَيْسَ بِالْحُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ.**» **(متى ٤: ٤)** ومَرَّت السنوات كميّاه السيل الشتوي. كبرت **لينو**، وابتلعت أثينا حياتها وسط الأضواء والضجيج وعمارات الإسمنت. وفي إحدى الليالي فتحت من الثلاجة عبوةً بلاستيكيةً كُتِب عليها: «جبنة فيتا تقليدية». قطعت منها قطعةً وتذوّقتها.

كان الطعام صحيحاً. لكنّه كان ميتاً. لم يكن يحمل في داخله الجبل. ولا رائحة النار. ولا ارتجاف ضوء السراج. ولا يدي جدتها. لم يكن فيه صلاة. لم يكن فيه ذاكرة. **وعندها فهمت.**

فالناس القدامى لم يتركوا وراءهم أشياء فقط، **بل تركوا أخلاقاً.** تركوا بركة. تركوا طريقةً للعيش دون أن يفقد الإنسان نفسه.

مُعيلين للحسد، بل هما قبل كل شيء حارسان ومرّيّان للنفوس التي **اتتمنهما الله** عليها.

فعندما يُهملان تعليم أولادهما **الصلاة والتوبة والطاعة والتواضع ومحبة الله**، تصبح مسؤوليتهما عظيمة ومخيفة أمام **الدينونة الإلهية.**

في أيامنا هذه، يهتم كثير من الآباء والأمهات بقلق كبير بتعليم أولادهم وتأمين مستقبلهم المهني وضمان استقرارهم المادي، لكنهم ينسون أن يعلموهم كيف يقفون أمام **الله.**

إنهم يعلموهم كيف يربحون العالم، ولكن ليس كيف ينتصرون على أهوائهم وشهواتهم. ويهيئوهم لكل صعوبة في هذه الحياة الحاضرة، لكنهم لا يهيئوهم **للأبدية.**

«**أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تُغَيِّظُوا أَوْلَادَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْدَارِهِ.**» **(أفسس ٦: ٤).**

إنَّ الأسرة هي **الكنيسة الصغيرة الأولى.** ففيها يتعلّم الطفل الصلاة، والاحترام، وروح المسامحة، والشعور **بمحضور الله.**

وعندما يعيش الوالدان **بحسب المسيح**، تكتسب كلماتها وزناً وقوة. أمّا إذا أهملوا التربية الروحية، فإنَّ عواقب هذا الإهمال ترافق الأولاد في كثير من الأحيان طوال حياتهم.

فلنتذكّر **كلام الذهبي الفم الحكيم**، ولنفحص ليس فقط ماذا نترك لأولادنا، بل بالأحرى ماذا نغرس في نفوسهم.

لأنَّ ما سيثبت أمام **عرش الله** ليس النجاحات الأرضية، بل **الإيمان والتوبة والحياة بحسب المسيح.**

«**مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟**» **(متى ١٦: ٢٦).**

إنَّ الأولاد يرون حياتنا أكثر مما يسمعون كلماتنا.

أعظم ميراث



Εἶναι ἀνάγκη κάθε γονεὺς
νὰ ἔχη τὴν ἐπιμέλειαν τῶν παιδιῶν
καὶ νὰ τὰ διδάξη με κάθε καλὸν μάθημα,
τὸ ὁποῖον νὰ ἦναι ὠφέλιμον διὰ τὴν ψυχὴν τους.

Ἅγιος Ἰωάννης ὁ Χρυσόστομος

«**يجب على كلِّ والد أن يعتني بأولاده، وأن يعلمهم كلَّ تعليم صالح، يكون نافعاً ومفيداً لخلاص نفوسهم.**»
القديس يوحنا الذهبي الفم

شذرات روحية من جبل آثوس المقدس

أعظم ميراث

إنَّ أعظم ميراثٍ يمكن أن يتركه الوالدان لأولادهما ليس المال، ولا الممتلكات، ولا النجاحات الدنيوية.

بل هو التربية **في المسيح**، وتنمية النفس، والسير في الطريق الذي يقود إلى الخلاص.

يعلّم القديس يوحنا الذهبي الفم **بمخافة الله** أنَّ الوالدين ليسا مجرد

آه، لو عرفنا كم تحبّ والدة الإله جميع الذين يحفظون وصايا المسيح، وكم تحزن وتتألم من أجل الذين لا يتوبون! لقد اختبرتُ هذا بخبرتي.

لا أكذب، بل أقول الحقّ أمام الله: إنني أعرف روحياً العذراء النقية. لم أرها، لكنّ الرُّوح القُدس أعطاني أن أعرفها وأن أعرف محبتها لنا. لولا رأفتها لهلك نفسي منذ زمن طويل. لكنها شاءت أن تزورني وتنصحي لكي لا أخطئ. فقالت لي: «لا يسرني أن أرى أعمالك». كانت كلماتها لطيفة، هادئة، بوداعة وحنان، وقد هزّت نفسي. مضى أكثر من أربعين سنة، لكنّ نفسي لا تستطيع أن تنسى ذلك الصوت العذب، ولا أعرف كيف أشكر والدة الإله الصالحة والرؤوفة.

حقاً، إنّها معونتنا أمام الله، ومجرّد اسمها يُفرح النفس. بل إنّ السماء كلّها والأرض كلّها تفرحان بمحبتها. يا له من أمرٍ عجيب وغير مُدرّك! إنّها تعيش في السماوات وترى بلا انقطاع مجد الله، لكنها لا تنسانا نحن الفقراء أيضاً، بل تحتضن برأفتها الأرض كلّها وجميع الشعوب. وهذه الأمّ الطاهرة أعطاهم الربّ لنا. هي فرحنا ورجاؤنا. هي أمنا الروحية، وهي قريبة منا بحسب الطبيعة، من حيث إنّها إنسانة، وكلّ نفسٍ مسيحية تنجذب بالمحبة إليها.

حتّى بالفكر». وهكذا كان الرُّوح القُدس يشهد في قلبي لطهارتها. ومع ذلك، ففي حياتها الأرضية لم تكن قد بلغت بعد ملء المعرفة، ووقعت في بعض هفوات النقص التي لا تُعدّ خطيئة. وهذا يظهر من الإنجيل؛ فعندما كانت عائدةً من أورشليم، لم تكن تعرف أين هو ابنها، وبحث عنه ثلاثة أيام مع يوسف (لوقا ٢: ٤٤-٤٦). تمتلئ نفسي بالخوف والردة عندما أتأمل في مجد والدة الإله. إنّ عقلي فقير، وقلبي ضعيف وبائس، لكنّ نفسي تفرح، وأندفع إلى أن أكتب ولو كلمات قليلة عنها. تخاف نفسي أن تتجرأ على ذلك، لكنّ المحبة تضغط عليّ ألا أخفي إحسانات رأفتها.

إنّ والدة الإله لم تُسلم إلى الكتاب لا أفكارها، ولا محبتها لابنها وإلهها، ولا أحزان نفسها ساعة الصلب، لأننا حتّى عندئذٍ لم نكن نستطيع أن نُدرّكها. فمحبتها لله كانت أقوى وأكثر التهاّباً من محبة الشاروييم والسارافيم، وجميع قوات الملائكة ورؤساء الملائكة تندهب أمامها.

ومع أنّ حياة والدة الإله كانت مستورة، كما نقول، بالصمت المقدّس، إلا أنّ الربّ أعلن لكيستنا الروميّة الأرثوذكسيّة أنّ والدة الإله تحتضن بمحبتها العالم كلّهُ، وترى بالرُّوح القُدس جميع شعوب الأرض، وكما أنّ ابنها يتراءى بالجميع ويرحمهم، كذلك هي أيضاً تترأّف وترحم الجميع.

صَمْتُ الحُضُورِ الإِلَهِيِّ



Σιωπή στον ναό.
Φωνή Θεού στην καρδιά.

صمتٌ في بيت الله،

وصوتٌ الله في أعماق القلب

شذرات روحية من جبل آتوس المقدّس

صَمْتُ الحُضُورِ الإِلَهِيِّ

في الساعة التي يُقام فيها القدّاس الإلهي، لا تكون الكنيسة مكاناً للأحاديث والأفكار الدنيوية، بل موضع لقاء الإنسان بالله. هناك، حيث تُرفع الذبيحة غير الدموية، وتلتقي السماء بالأرض سرّاً، يصبح كلّ كلامٍ زائد حرماناً من منفعة روحية.

إنّ المؤمن مدعوٌّ إلى أن يقف بخوف الله، وانتباهٍ وخشوع، وأن يصلي بقلبه، وأن يُصغي بإمعان إلى القراءات الإلهية، لأنّ الربّ يُعلم من خلالها طريق الخلاص. كما أنّ مطالعة القراءات الروحية المناسبة، مثل صلوات الاستعداد للتناول الإلهي، وصلوات الشكر بعد التناول، والمزامير وأقوال الآباء القديسين، تساعد النفس على التهيؤ والانتفاع الروحي، بالتعاقد مع الخدمة المقدّسة وما يُتلى فيها من صلوات وقراءات، فهي مهمة بامتياز.

فالصمت المقدّس ليس فراغاً، بل هو حيّز مقدّس يُسمَع فيه صوتُ الله بصورةٍ أوضح..

وإذا فرضت حاجةً حقيقيةً أن يُقال كلام، فينبغي أن يكون مختصراً، ومتّسماً بالتواضع، وضرورياً، مع الشعور بقدااسة اللحظة. لأنّ من يُدرّك أين يقف وما الذي يتمّ أمامه، يحفظ لسانه ويقدم لله الانتباه والاحترام اللذين يليقان به.

«لِيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ» (١ كورنثوس ١٤: ٤٠).

الأب برصنوفوس والأب يوحنا



«تعالوا وانظروا معجزة هذا القرن!»

شهادة أمٍ اختبرت شفاعة القديس الشهيد إفرام نيامكري

أرغب أنا أيضاً أن أرفع الشكر لله القدير وللقديس إفرام على المعجزة التي استحققت أن أحترها في حياتي.

كنتُ حاملاً، وقد حدّد الأطباء يوم ٢٩/١٢/٢٠٠١ موعداً لولادتي. وعندما حلّ ذلك اليوم ولم أكن قد وضعت طفلي بعد، منحني الطبيب أسبوعاً إضافياً. وفي صباح يوم ٢/١/٢٠٠٢ بدأتُ أشعر بالآلام المخاض، فتوجّهت إلى المستشفى. وبعد أن فحصتني القابلة، أخبرتني أنهم يستدعون طبيب النساء والتوليد المشرف على حالتي، لأنّ ساعة الولادة قد حانت..

وبعد الولادة دخل طفلنا في حالة حرجة للغاية، وأصبحت حياته مهددة. وكان رجاؤنا مُعلّقاً بالله وحده، ومتكلاً على شفاعة القديس إفرام، الذي كنتُ نتضرّع إليه يومياً بحرارة.

وبعد ثلاثة عشر يوماً أُجري للطفل تخطيطٌ ثانٍ للدماغ. ولم يكن الأطباء يرغبون في إخبارنا بنتيجة الفحص، لئلاّ يمنحونا أملاً لا يستند إلى معطياتٍ طبيّة. وبعد يومين استدعونا وأبلغونا بالنتيجة، قائلين إنّ الطفل أصبح بخير تام، وإنهم لا يستطيعون تفسير ما حدث، لأنهم كانوا يتوقّعون النهاية المأساوية.

وهنا لا بدّ لي أن أذكر أنّ القديس إفرام أعلن حضوره لنا خلال تلك الأيام الثلاثة عشر بطرائق عديدة.

فقد رأيت إحدى عمّاتي حُلماً كانت فيه داخل كنيسة القديس إفرام في نيامكري، وإلى جانبها طفلٌ صغيرٌ يبكي بلا انقطاع. فأخذته بين ذراعيها لكي تهدئه، فإذا به ينهض فجأة ويبدأ بالمشي. وعندما أخبرتنا بهذا الحلم، ذهبت مع والديّ إلى الكنيسة نفسها.

وفي الطريق كانت والديّ تتوسّل إلى القديس إفرام أن يمنحها علامةً تُطمئن قلبها. وعندما أشعلت القنديل أمام أيقونته انطفأ فجأة، فاعتقدت أنّ طفلي سيموت. لكن قبل أن تتمكّن من التقاط الولاة لإعادة إشعاله، اشتعل القنديل من جديد من تلقاء نفسه. فامتلاً قلبها عزاءً، وأيقنت أنّ الله لن يترك الطفل، وأنّ القديس إفرام يشفع من أجله أمام عرش النعمة.

وفي منزلنا كنتُ نختبر حضور القديس العجيب، إذ كنتُ نسمع طرقاتٍ على الأيقونات، وكانت رائحة البخور تملأ البيت بأسره وتنتشر في جميع الغرف.

بقي الطفل سبعة عشر يوماً في وحدة العناية الفائقة. وبعد ذلك نُقل إلى غرفةٍ عاديّة، حيث أمضى ثلاثة عشر يوماً إضافيّة، وبدأ الأطباء يعطونه الحليب تدريجياً، إلى أن سمحوا لنا أخيراً بإعادته إلى المنزل.

ومع مرور الوقت كان لا بدّ من إخضاعه لفحصٍ جديد بعد شهرين. وقبل موعد الفحص بأيّام قليلة، رأيت عمّة أخرى حُلماً. فقد رأيت نفسها في منزلنا، وبرفتها شابٌ يرتدي قميصاً أبيض وبنطالاً أسود. وكان يزور البيت للمرّة الأولى، فبدأت أعرفه على أرجائه. وقبل أن أريه غرف النوم دخل وحده إلى الغرفة التي كان فيها الطفل، وبدأ يفكّ أزرار أكمامه.

وأثناء انشغالي بتحضير شيءٍ لأقدمه له، ذهبت عمّتي لتناديه، فقال لها:

«اذهي أنتِ، أمّا أنا فسأبقى لأعتني بالطفل».

عندها هدأ قلبي تماماً، لأنني أدركت أنّ القديس سيكون شفيحاً وسنداً وحارساً لطفلي طوال أيّام حياته.

وعندما جاء موعد الفحص الأوّل كانت النتائج ممتازة. وإحدى الأستاذات في المستشفى، بعدما اطّلت على الملفّ الطيّ للطفل، استدعت بعض زملائها وقالت لهم حرفياً:

«تعالوا وانظروا معجزة هذا القرن!».

إنّ ما جرى مع طفلنا يفوق كلّ تفسيرٍ بشريّ. فقد رأى الأطباء حالةً ميوّساً منها، لكنّ الله أظهر رحمته، وأعلن القديس إفرام حضوره ومعونته بطرقٍ عديدة. ولم يبقَ من تلك الحنة سوى أثرٍ واحد، وهو ضعفٌ في أعصاب السمع، الأمر الذي استوجب استخدام جهازٍ سمعيّ.

ومن أعماق قلبي أحمد الله القدير، صانع العجائب في قديسيه، وأشكر القديس إفرام الشهيد الذي لم يخذل رجاءنا، بل رافق طفلنا منذ ولادته وحفظه بنعمته وصلواته. فليكن اسم الربّ مباركاً إلى الأبد. آمين.

العنصرة وروح الحق

في
جهة

الظلمة:
(الضلالة)
(الخطيئة)
(الكبرياء)
(الخوف)
(اليأس)
(العبودية)
(الضياع)
(الروحي)

في
جهة

الثورة
(الحق)
(النور)
(السلام)
(المحبة)
(الفرح)
(الحرية)
(التمييز)
(الروحي)



وفي أيامنا الحاضرة، حيث تنتشر اللبلة الروحية والارتداد، وتعالى الدعوات إلى إقامة وحدة بمعزل عن المسيح،

تُذكر الكنيسة بأن الوحدة الحقّة لا تتحقّق إلا في جسد المسيح.

شذرات روحية من جبل آتوس المقدّس

العنصرة وروح الحق: إنّ عيد العنصرة المقدّس يُعدّ واحدًا من أعظم أحداث التدبير الإلهي، لأنّه يُظهر عودة **الروح القدس** إلى الإنسان وتأسيس الكنيسة بوصفها **جسد المسيح السري** في مجرى التاريخ. فهناك، حيث كانت الخطيئة قد أظلمت الذهن وأبعدت الإنسان عن الشركة مع الله، يأتي **الروح القدس الكليّ القداسة** ليُجدّد الخليقة ويجمع المؤمنين في **إيمان واحد، وحقّ واحد، وحياة واحدة**.

إنّ الكتاب المقدّس يشهد بأنّ البشر قبل الطوفان قد سلّموا أنفسهم للشهوانية والارتداد. لذلك **يقول الله:** «لَنْ يَبْقَى رُوحِي فِي هَؤُلَاءِ النَّاسِ إِلَى الْأَبَدِ» (تك ٦: ٣)، لأنّ قلوبهم كانت قد استُعبدت للأهواء والشهوات. فحيث تسود الخطيئة ومحبة اللذّة، هناك لا يستريح **الروح القدس**. والإنسان الذي خُلِق ليصير **هيكلاً لله** يفقد حرّيته الروحية، ويسقط في عبودية الفساد والفناء.

بعد الطوفان، حاولت البشريّة أن تبني برج بابل. ولم يكن ذلك مجرد مشروع تقني، بل كان تعبيراً عن الكبرياء وتأليه الذات. فقد أراد الناس أن يُقيموا وحدة من دون الله، معتمدين على قواهم الخاصّة. لذلك بلبل الربّ الألسنة وشتّت الأمم. وأصبحت بابل علامة للبلبل والاضطراب، لأنّ كلّ وحدة بشريّة ترفض الله تنتهي حتمًا إلى الانقسام والظلمة الروحية.

أما في يوم العنصرة فيحدث العكس تمامًا. فال**روح القدس** ينزل على هيئة ألسنة نارية، ويدعو جميع الناس إلى وحدة الإيمان. ولذلك ترتّل الكنيسة قائلة: «لَمَّا نَزَلَ الْعَلْيُ فَبَلْبَلِ الْأَلْسِنَةَ، فَرَقَّ الْأُمَمَ. وَلَمَّا وَرَعَ أَلْسِنَةَ النَّارِ، دَعَا الْجَمِيعَ إِلَى الْوَحْدَةِ».

إنّ كبرياء بابل يُشفى بتواضع العنصرة. فالوحدة الحقيقية لا تنشأ من المساعي البشريّة، بل من **نعمة الروح القدس**. و**الروح القدس** يمنح الإنسان **فكر المسيح**. لذلك يعلن الرسول بولس قائلاً: «وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَّا

فِكْرُ الْمَسِيحِ». (١ كو ٢: ١٦). فالمؤمن لا يعود يفكر بمقاييس هذا العالم، بل يجعل **مشيئة الله والأبدية** معياراً لحياته. إنّ **الروح القدس** يُنير الذهن، ويطهّر القلب، ويقود الإنسان إلى الحق.

إنّ **الروح نفسه هو روح الحق**. وفي عالمٍ يمتلئ بالضلالة والكذب والتشويش الروحي، يُدعى المؤمن إلى أن يُميّز بين الأصيل والزائف. فالهرطقات، والتنجيم، والسحر، وتحضير الأرواح، وكلّ شكلٍ من أشكال الابتعاد عن الحقيقة الإلهية المُعلنة في الكنيسة، إنّما هي مظاهر لروح الضلالة. لذلك تدعو الكنيسة الرّومية الأرثوذكسية أبناءها إلى الثبات في الإيمان الرسولي والتقليد المقدّس.

ويمنح **الروح القدس** أيضًا **مخافة الله**. وهي ليست خوفًا عبوديًّا، بل رهبة مقدّسة وشعورًا حيًّا بحضور الله. وهذه المخافة تولّد التوبة، وتحفظ الإنسان من الخطيئة، وتقوده إلى الخلاص. فاللصّ الذي كان على الصليب نال الخلاص عندما اقتنى **مخافة الله واعترف بالمسيح**.

إضافةً إلى ذلك، فإنّ **الروح القدس هو روح الحرية**. «وحيثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ». (٢ كو ٣: ١٧). غير أنّ الحرية الحقيقية ليست انفلاتًا ولا إلغاءً لكلّ ضابطٍ أخلاقي، بل هي التحرُّر من الأهواء والخطيئة واستبداد الشيطان. أمّا بدون الروح القدس، فإنّ الحرية تتحوّل إلى تدميرٍ للذات وعبوديّةٍ روحية.

أما **سرّ المبرون المقدّس**، الذي يناله كلّ أرثوذكسي بعد المعمودية، فهو عطية عظيمة ووديعة سماوية. فمن خلاله يُختم الإنسان **بنعمة الروح القدس**، ويُدعى إلى أن يحفظ هذا الختم نقيًا بلا دنس حتى نهاية حياته. ولذلك كان **داود النبي يصلي قائلاً:** «روحك القدّوس لا تنزعه مني» (مزمو ٥٠: ١١). وأخيرًا، يمنحنا **الروح القدس** روح البنوة. فالمؤمن لم يعد يرى الله غريبًا أو بعيد المنال، بل أبًا له. «بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: يَا أَبَا الْأَبِّ» (رو ٨: ١٥). ومن هذه العلاقة البنوية تنبع السلامة والأمان واليقين بأنّ الإنسان ليس وحيدًا في هذا العالم.

في أيامنا هذه، حيث يسود التشويش الروحي والارتداد، وتكثر المحاولات لبناء وحدةٍ من دون المسيح، تُذكر الكنيسة بأنّ **الوحدة الحقيقية لا توجد إلا داخل جسد المسيح**. فكلّ اتحادٍ يتجاهل حقيقة الإيمان، ويُساوي بين النور والظلمة، ليس **ثمرًا للروح القدس**، بل هو مجرد بناءٍ بشري.

إنّ **العنصرة المقدّسة** تدعونا إلى أن نُجدّد علاقتنا بالمسيح، وأن نتوب بلا انقطاع، وأن نحفظ الإيمان الأرثوذكسي نقيًا غير مشوب، وأن نجاهد من أجل اقتناء **نعمة الروح القدس**. لأنّه بدون **الروح القدس** لا توجد حياة حقيقية، ولا خلاص، ولا قداسة. وبينما تواصل الكنيسة مسيرتها عبر التاريخ، تتحد **بالروح القدس** وتحتف مع جميع القديسين في كلّ العصور قائلة: «تعال أيّها الربّ يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠).

تُهدى هذه الكلمات بخشوع إلى جميع الذين يجاهدون من أجل أن يُبقوا شعلة الإيمان الأرثوذكسي متقدّدة لا تنطفئ وسط أزمنة التشويش والارتداد.

فبدون **الروح القدس** يظلم الإنسان. وبالروح القدس يصير الإنسان مسكنًا لله.



الشيخ - بيروندا
فينيديكتوس الآثوسي
القدير والذائع الصيت

نيا سكيثي - جبل آثوس



القوى المدمرة الثلاث

الجهل

النسيان

الفتور الروحي

إن نور المسيح يدرح الظلمة ويحرر النفس

كلمة تمهيدية

وحارب الجهل بالمعرفة المستنيرة، التي بها تستيقظ النفس من جديد وتطرد عنها ظلمة الجهل.
وحارب الفتور الروحي بالهمة والاستعداد، فهذه سلاح ممتاز يُعيد النظام إلى النفس ويدفعها نحو الخلاص...

الجهل - مقدمة عامة

الجهل هو القائد الأول لجميع الأهواء.

وبالمعنى الديني الضيق، يعني الجهل عدم معرفة الحقائق الدينية وواجبات الإنسان تجاه الله. وبصورة عامة، يعني عدم معرفة الحقائق الأساسية للإيمان. لذلك فإن الجهل مرادف لعدم المعرفة. وعند الآباء النساك نجد اللفظين يُستعملان بالتبادل. كما يدل أيضًا على حياة لا تقوم على أساس التعليم المسيحي، بل تكون مناقضة للناموس الإنجيلي.

في العهد الجديد لا يُعتبر الجهل خطيئة أساسية. ولذلك يؤكد الرسول بولس للأثينيين أن الله يتغاضى عن أزمته الجهل. والأمر نفسه يشدد عليه الرسول بطرس في كرازته لليهود بعد صلب الرب، إذ يقول إن الشعب، على الأقل، قد صلب المسيح عن جهل. وفي مثل هذه الحالات يكون الجهل معذورًا ويحتاج إلى رفقٍ وتسامح.

في الحياة الروحية، فالجهل هو حالة روحية أعم وأشمل، وهو تعبيرٌ عن الذهنية الترابية لدى الإنسان، وعن أفكاره الأرضية، ورغباته الأرضية، ومساعدته الأرضية.

ويقول القديس نيكيتاس الستيثاتوس: «لأن جهل العقل الترابي هو ظلمة عميقة جدًا تغطي عيني النفس، فتجعلها مظلمة وغارقة في الدُّجنة من جهة الأمور الإلهية والبشرية. ويرجع ذلك إلى عجزها عن التحديق في لمعان النور الإلهي، أو التمتع بتلك الخيرات الروحية التي يشير إليها الرسول بولس». إذن فالجهل مرضٌ خطير يصيب النفس البشرية، ولا سيَّما العقل. ولهذا وصفه الآباء بأنه: «نجاسة العقل».

في معركتنا الروحية توجد ثلاث قوى عظيمة شديدة البأس، تقوم عليها كل قوة العدو أولوفيرنيس العقلي (أي الشيطان) (أنظر سفر يهوديت). فإذا سقطت هذه القوى وماتت، ضعفت بسهولة كل قوة الأرواح الشريرة. وهذه القوى العظيمة الثلاث هي: الجهل، أم جميع الشرور؛ والنسيان، أخت الجهل ومعاونته وشريكته؛ والفتور الروحي، الذي ينسج للنفس سحابة مظلمة سوداء تتخذها لباسًا وغطاءً، والذي يسند القوتين الأخرين ويقويهما، ويمنحهما الوجود، ويغرس الشر في النفس البالغة الإهمال ويُبتته فيها.

ومن الفتور الروحي، والنسيان، والجهل، تشتد دعائم سائر الأهواء وتنمو. ذلك أن هذه الشرور الثلاثة، إذ تكون الواحدة منها مُعينَةً لِالأخرى، تُثبت أتمها قوى شديدة التأثير ورؤساء أقوياء للشيطان الشرير، يستند إليهم جيش الأرواح الشريرة ويستمد منهم دعمه وقوته، وبواسطتهم يستطيع أن يُنفذ مقاصده الشريرة. ولولا هذه الثلاثة، لما أمكن أن توجد جميع الأمور التي ذكرناها آنفًا.

فإذا أردت أن تغلب الأهواء التي ذكرناها سابقًا، وأن تُحطم بسهولة جيش الغرباء العقليين (أي قوات الأعداء الروحيين)، فبعد أن تجمع نفسك إلى ذاتك بالصلاة وبمعمونة الله، وبعد أن تغوص في أعماق قلبك، فتش واكشف هؤلاء الجبابرة الثلاثة الأقوياء التابعين للشيطان: النسيان، والفتور الروحي، والجهل، الذين هم دعائم الشياطين، والذين بواسطتهم تعود سائر أهواء الشر، وتعمل وتحيا وتتقوى في نفوس الجهال ومحبي اللذات. وبكثير من الانتباه وسهر العقل، وبالمعمونة الإلهية، وبعد أن تكتشف هذه الشرور العظيمة التي يجهلها الآخرون ولا يتخيلون حتى وجودها، وهي الأكثر تدميرًا من جميع الشرور الأخرى، فجاهدها بأسلحة البر التي تقف في مواجهة هذه الشرور وتقاومها. حارب النسيان بالتذكر الصالح، لأن التذكر الصالح هو حراسة العقل من السهو والغفلة، ومنه تتبع جميع الخيرات.

أسباب الجهل ونتائجه الروحية

من أسباب الجهل: الذهنية المنحطّة والأرضية للإنسان، والحياة البهيمية، كما كان يقول القديس باسيليوس الكبير. ولهذا يعجز العقل عن إدراك الحقائق والحالات الإلهية. وهكذا يكون الجهل ثمرة للخطيئة، ولسقوط الإنسان، ولاستعباده لإرادته الخاصة، وابتعاده عموماً عن الله.

ويؤكد القديس مكسيموس المعترف قائلاً: «إن الذي سقط من المحبة الإلهية صار ناموس الجسد متسلطاً في داخله. وهذه الحالة لا تسمح له بحفظ آية وصية من وصايا الله. ولأنه فضل الحياة المحبة للذات على الفضائل، فإنه في النهاية، وبدلاً من معرفة الله، يجلب على نفسه الجهل بالله».

ولكن هنا يُطرح الموضوع في إطاره الصحيح. فعندما نتحدث عن الجهل، فإننا نشير إلى أناس عرفوا في البداية مشيئة الله، ثم ابتعدوا عنه. فالذين عرفوا في أول الأمر مشيئة الله، ثم ابتعدوا عنها وانغمسوا في حياة الحواس والذات، فقدوا كل نوع من أنواع الاتصال بالله، ونسوا حتى ما كانوا يعرفونه من قبل، فسقطوا في جهل لا يُغتفر. ونرى هنا سقوطاً حاداً من حالة مباركة كانوا فيها إلى حالة من عدم المعرفة بلغت درجة عظيمة جداً. وهنا يكمن الشر العظيم.

«إنّ الجهل أمرٌ مخيف، بل أشدُّ هولاً مما يظنّ الإنسان، لأنه ظلامٌ محسوس يجعل النفوس التي يسيطر عليها حالكة الظلمة»، يقول لنا القديس نيكيتاس الستيثاتوس مرةً أخرى، «لأنّه ظلامٌ ملموس، ويجعل النفوس التي يسيطر عليها حالكة الظلمة».

إنّ الجهل يفصل النفس عن اتحادها بالله، ويجعل الإنسان بأسره فاقداً للحكمة والبصيرة، وعدم الإحساس الروحي.

فالذي يسقط في الجهل لا يعرف أحكام الله. ومع الذين يوجّهونه يخاصم، وأمّا الذين يغفرون له فيحسبهم حمقى. وإذا صار غنياً تصرف بكبرياء، وإذا افتقر تظاهر وتصنّع. وإذا تنعم في حياته سقط في شتى أنواع الفجور والأفعال التي لا يُسمى بها، وإذا ضاقت به الحياة أخذ يكي حظه ونصيبه.

فإذا لم يقتن الإنسان، بنعمة الله، معرفة الحق ومخافة الله، فإنه لا يُجرح جراحاً بالغة بسبب أهوائه فقط، بل أيضاً بسبب كل ما يجلّ به من أحزانٍ ومصائب.

وهذه بعض نتائج الجهل في العالم النفسي والداخلي للإنسان. غير أن للجهل انعكاساً أيضاً على الحالة الخارجية للإنسان؛ إذ يؤثر تأثيراً بالغاً في علاقاته مع الآخرين. فالجهل يُغرق الإنسان في ظلام عميق، لأنه يجعل الذات والملاذات الهدف الرئيسي لحياته، ويجعله يعتبر ما ليس بموجود كأنه موجود.

الجهل - الجهل أسّ الظلام العميق

الجهل هو ظلام، بل ظلامٌ روحي عميق. ولذلك يُوصف بأنه: «ظلامٌ مخيف». فهو لا يقرب الإنسان الذي يستولي عليه إلى الله فحسب، بل يُبعده عنه نهائياً. إنّه افتقادٌ لمخافة الله. فإذا كانت

معرفة الله تجعل الإنسان عاقلاً ومستقيم الفكر، فإنّ الجهل بالله يجعل الإنسان غير عاقل، أي فاقداً للتمييز الصحيح، غير قادر على التفریق بين الصواب والخطأ. ولا يجعله غير عاقل فحسب، بل عدم الإحساس أيضاً.

والجهل ليس أمراً خطيراً فحسب، بل هو أيضاً ينبوع الشر. فالقديس مكسيموس يقول: «ثلاثة أمور هي أفضع الشرور في العالم، وهي الأصول الأولى لكل شرّ: الجهل، ومحبة الذات، والاستبداد». غير أنّ الشرّين الآخرين ينبعان من الجهل. فهو يقف في القمة، ويُعدّ سبباً لكل شرّ.

ويقول أيضاً القديس ثيودوروس الإديسي: «إنّ حبّ المجد لا ينشأ من حاجة الجسد، بل من الجهل بالخير الأوّل وبالمجد الحقيقي. وسبب ذلك، بل وسبب جميع الشرور عموماً، هو الجهل. لأنّ الإنسان الذي أدرك حقاً طبيعة الأشياء، وعرف من أين يأتي كل شيء وإلى أين ينتهي، لا يمكنه بعد ذلك أن يحتقر الغاية التي تُخلق لأجلها وأن ينصرف إلى الأمور الأرضية. فالنفس لا تنجذب بطبيعتها إلى ما يبدو خيراً في الظاهر فقط. وحتى إن كانت مستعبدة لسلطان العادة، فهي قادرة كلّ القدرة على أن تغلب هذه العادة. ولكن عندما كانت ما تزال خاضعة لها، كانت تُخدع بسبب الجهل. لذلك ينبغي للإنسان أن يهتم بالخير الأوّل، وأن يقنن فكرياً مستقيماً عن الموجودات، ثم يمنح إرادته أجنحة لتتحلّق نحو الخير الأوّل، وأن يهد في جميع الأمور الحاضرة، وأن يتيقن من عظيم بطلانها وفراغها.»

ويصف القديس غريغوريوس السينائي الجهل بأنه: «ليل الأهواء»، أي ظلام عميق يهيمن فيه الشيطان ويتسلط. ويقول: «إذا كانت المعرفة ثمرةً للروح القدس، فإنّ الجهل هو الظلام الأخلاقي.»

وأما نتائج هذا الظلام الأخلاقي فهي كل ما يتعارض مع مواهب الروح القدس، مثل: البغضة، والحزن العالمي، والسُكر، والشتم، وإدانة الآخرين، وكبرياء النفس، وعدم الإيمان، والفضول الباطل، وما شابه ذلك.

الجهل والشيطان

سبب الجهل هو الشيطان.

ولمّا كان الجهل ينشأ من ابتعاد الإنسان عن الله، فمن الواضح أنّ الشيطان يلعب في هذه الحالة دوراً أساسياً. فهو بداية كل جهل ونهايته، ومصدر كل ظلمة وكل خطيئة.

ويلاحظ القديس البارّ بطرس الدمشقي: أنّ الشيطان، بعد سقوطه، فقد كلّ صلة بالله، وبسبب كبريائه ونكرانه للحميل صار «غريباً» عن الله. وهذا يعني أنّه لم يعد يريد، بصورة ثابتة ونهائية، أن يصير معروفاً لدى الله، ولذلك يبقى إلى الأبد بعيداً عن الخلاص.

وكما أنّ الشيطان هو سبب الجهل، كذلك هو أيضاً سبب الضلالة. فبينما يتميّز الذين يعرفون الله بالوحدة التي تجمعهم بعضهم ببعض، فإنّ الذين يحملون روح الضلالة يتميّزون بالانقسام والتفرقة

فيما بينهم. أما الذين يعيشون في الجهالة فينجم ينتقلون من ضلالةٍ إلى ضلالة، ولا يستقرّون أبداً على حالٍ واحدة. وهكذا فإنّ الجهل يُعادل الضلالة. ولذلك فالشيطان ليس مُحَرِّضاً ومعاوناً في إيجاد الجهل فحسب، بل أيضاً في إيجاد الضلالة، مهما كان الشكل الذي تظهر به داخل ميدان الحياة الروحية.

العلاج

إنّ الهدف الأساسي للإنسان الذي يجاهد لكي يتطهّر من أهوائه هو أن يطرد الشرير من داخله، وأن يُبدد ظلمة الجهل، **وأن يُشرق في قلبه نور المسيح.**

ومن خلال ما تقدّم ذكره نستطيع أن نفهم أيضاً كيف يمكن محاربة الجهل. فأولئك الذين ليست لديهم خبرةٌ شخصيةٌ بحقائق الإيمان والعقيدة وبالسلوك المستقيم في الحياة، ينبغي أن يتعلّموا من آخرين ذوي خبرة في هذه الأمور.

وهذا أيضاً هو نَحْجُ القديس غريغوريوس بالاماس، الذي إذ يتبع التقليد الأرثوذكسي الأصيل، يرى أنّ وجود الشيخ، أي الأب الروحي، الذي يقود الإنسان إلى طريق الخلاص الآمن، أمرٌ ضروري.

«إن أراد أحدٌ أن يتحرّر من هذا الأمر، فلا يثق بفكره الخاص، بل ليسأل شيخاً...»

أما هذا الشيخ، فيجب أن تكون لديه **معرفة الله**، وألا يكون واقفاً في الضلالة. لأنّ الذي بلغ التألّه وحده يستطيع أن ينقل المعرفة الحقيقية، وأن يبدي المعرفة الزائفة.

أما الذي يفتخر بمعرفته، فإنّه يقطع كلّ رابطة له مع الأشخاص الذين **عرفوا الله واحترّوا نعمته**. وهذا الإنسان نفسه واقعٌ في الضلالة. ويوصينا القديس البار بطرس الدمشقي بسبعة أعمالٍ جسدية، أو سبع رياضاتٍ نُسكية إن صحّ التعبير، يستطيع الإنسان بواسطتها أن يتطهّر من الجهل.

وهكذا يبقى الشيخ معياراً للأرثوذكسية وللحقيقة، لأنّ اللجوء إليه يُظهر في جوهره اتضاع الإنسان الذي يسأل، إذ إنه لا يعتمد على فكره الشخصي.

(١) الهدوء (Houxiá)، أي السيرة الهادئة غير المشتتة، البعيدة عن كلّ همٍّ من هموم الحياة الزمنية.

إنّ أهمّ ما ينبغي أن يشغل الإنسان هو كيف يُرضي الله، وكيف يستعدّ لنوال جائزة الدعوة السماوية العُلّيا، وكيف يواجه عدوّه، أي الشيطان، وكذلك أهواءه.

كما يسهر وينتبه لئلا ينسى الله، ولئلا يُقاد إلى اليأس بسبب نسيانه **محبة الله للبشر ورحمته.**

(٢) الصوم المعتدل.

وفي هذا الصوم المعتدل، أي الصوم المتناسب مع القوّة الجسدية لكلّ إنسان، يدخل أيضاً الاستعمال المعتدل للماء.

(٣) السهر المعتدل:

فبواسطة هذه الوسيلة تُخضع النفس الجسد، ولا تتركه يشتهي ما يتعارض مع النفس.

(٤) الترتيل (الإنشاد بالمزامير):

وهو أيضاً صلاة، ويتوافق مع السجّات، لكي يتعب الجسد، ومن خلال هذا التعب تتضع النفس.

(٥) الصلاة الروحية:

وهي الصلاة النَّوَسِيَّة، أي صلاة العقل (النوس) المجتمع في القلب، التي لا تتدخل فيها أفكارٌ أخرى إلى الذهن.

فالإنسان هنا يطلب أن تتمّ **مشيئة الله وحدها**، وهي المشيئة الخلاصية أيضاً.

ويبقى وحده **مع الله**، بلا صورة، أي من غير أن يطبع في داخله أيّ صورة أو شكلٍ آخر.

(٦) القراءة الروحية (المطالعة التأملية):

وهي دراسة الكتاب المقدّس، وسير القديسين، وكتابات آباء كنيستنا، التي تتعلّم منها النفس كيف تستطيع أن تغلب أهواءها، وأن تقتني مختلف الفضائل.

وقد لا يفهم الإنسان منذ البداية ما يدرسه ويطلعه، لذلك فهو يحتاج إلى المثابرة والصبر. أما المعرفة فستأتي لاحقاً.

(٧) ما ذكرناه في بداية هذه الفقرة، أي سؤال ذوي الخبرة:

فقلة الخبرة قد تقود إلى سوء الفهم وإلى الضلالة، أما الاتضاع فهو الطريق الأكثر أماناً لكي يعرف الإنسان الله، ولكي يُعرف من الله.

وبعد ذلك ينبغي للإنسان أن يتحلّى بالصبر تجاه كلّ ما يحدث، وتجاه كلّ ما يسمح الله بحدوثه.

وألا يُعبر الأحلام أيّ اهتمام.

وليُواظب دائماً على التأمل في **اسم الله**، وألا يطلب سوى أمرٍ واحد، وهو أن تتمّ **مشيئة الله** في كلّ حين.

عندئذ يبدأ العقل بالاستنارة. ويرى أنّ زلّاته وخطاياها لا تُحصى، بل هي كرمل البحر. فتتسحق النفس حينئذٍ، ويتضع القلب، ويعتبر الإنسان نفسه أدنى من الجميع.

وهكذا يبدأ في إدراك إحسانات الله، ويشرع في تطبيق وصاياه.

وبتطبيقه **وصايا الله**، يبدأ بالصعود درجةً بعد درجة على سلّم الفضائل.

ويستمرّ هذا الصعود إلى أن يبلغ الإنسان الوصيّة الأخيرة، أي **وصيّة المحبّة.**

ومن بلغ إلى المحبّة فقد بلغ إلى الله، : «لأنّ الله محبّة» (١ يوحنا ٤).

إنّ إزالة الجهل هي عطية من الله. وهي تُمنح للذين يجاهدون ويبدلون الجهد. **فالله**، عندما يرى الجهد الذي يبذله الإنسان، ينزع عنه

السحابة التي تغطّي عقله وتمنعه من أن يرى بوضوح، أي إنّه يرفع عنه الجهل، ويمنحه معرفة نفسه، ومعرفة الأسرار، ومعرفة الحق. ■

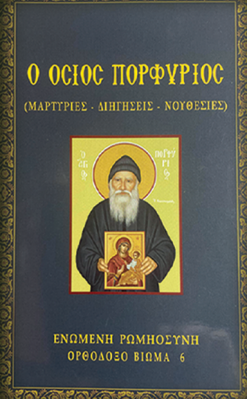


القديس پورفيروس الرّائي

كافسوكاليفيا

جبل آثوس

اليونان



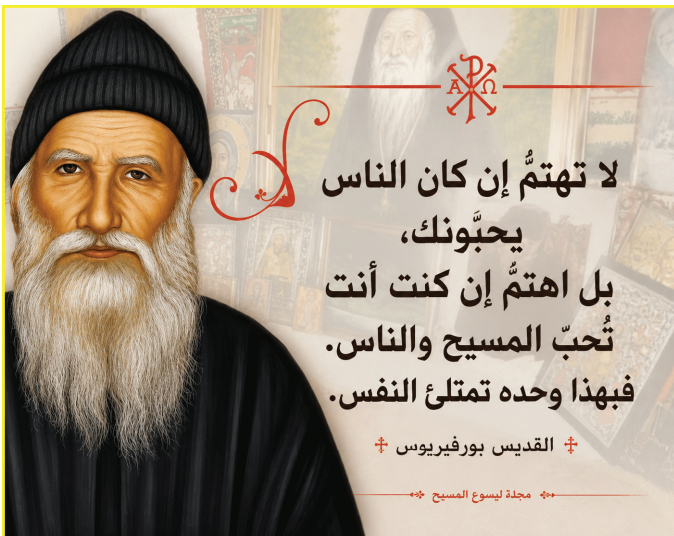
قلاية القديس
في ميليسي

شهادات،

روايات، وتعاليم
جمعية نور المسيح

بسرطان في الثدي سنة ١٩٨٢. فأعادت الفحوصات، وتقرّر إجراء عملية لاستئصال الثدي. وعلى الفور أخذ والداي دسيسينا وذهبا بها إلى القديس. فسألها القديس أسئلة مختلفة مثل: « ماذا لديك؟ ما هذا المرض؟ ومتى ستُجرى العملية؟ » ثم قال لها في النهاية: « تعالي اعترفي وتناولي القربان المقدس، ثم أعيدي الفحص. أمّا أنا فسأصلي ».

وكانت أمّي، التي كانت تعرف القديس جيّدًا، تؤكّد بثقة أنّ كلّ شيء سيسير حسنًا، وأنّ القديس لن يتركها. وهكذا تمّ الأمر فعلاً، لأنّ الطبيب في الفحص المُعاد لم يُصدّق ما كان يراه. فقد كان الثدي سليماً بالكامل، ولم تُجرّ العملية أبداً.



من أجمل ما يميّز أقوال القديس پورفيروس أنها لا تركز على محاربة الشرّ مباشرةً، بل على الامتلاء بالمسيح. فبحسب تعليمه، عندما يدخل نور المسيح إلى القلب، ينسحب الظلام تلقائيًا، كما يختفي الليل عند شروق الشمس. وهذا ينسجم مع قوله الشهير:

«المسيح هو الكلّ في الكلّ.» «Ο Χριστός είναι τὸ πᾶν.»

الفصل الرابع والعشرون:

كشوفات ونبوءات

«إنّ پورفيروس هو كاهنٌ بسيط.

أمّا العجائب فيصنعها المسيح»

شهادة السيّدة أوليمبيا پاغوني من خالاندري – أثينا:

«كان والداي إنسانين تقيين جدًّا وخائفين الله، وكانا يجاهدان يوميًا لكي يُرضيا الله ويكونا قريين منه. وإلى جانب الواجبات الشكليّة كمسيحيين، كانت والدتي كليونكي، بصورةٍ خاصّة، تصلي صباحًا ومساءً، رغم أنّها كانت تعمل بجهدٍ شاقّ طوال النهار. ولم تكن التمجيدات لله تفارق فمها أبداً. وقد استضاف بيتنا شيوخًا روحيين متعدّدين، قاماتٍ روحيةٍ سامية.

لقد استمرت علاقتنا بالقديس پورفيروس سنواتٍ طويلة. فمند طفولتنا كان والدانا يأخذنا إلى ميليسي، إلى ذلك البيت الصغير الذي لم يكن فيه سوى سريرٍ صغير، وكرسيّ، ومدفأةٍ صغيرة، وأيقونة كبيرة مهيبّة لوالدة الإله. (أنظر الصورة فوق يسارًا).

وأذكر الرّهبة التي شعرتُ بها، وتلك الأحاسيس الجديدة العديدة التي اختبرتها داخل تلك الغرفة الفقيرة جدًّا والمتواضعة. كانت ركبتيّ ترتجفان إذ كنت أشعر بقداسة ذلك الشيخ. فجتوث ولمستُ جبيني طرف السرير. وكانت أمّي تتكلّم بأجمل الكلمات عن ذلك الأب الروحي المبارك، لأنّها كانت تكنّ له احترامًا لا حدود له.

وبما أنّها كانت صاحبة شخصيّة قويّة، فقد سعت وجلبت إلى القديس أشخاصًا آخرين أيضًا، ولا سيّما بعض صديقاتها، فبدأوا حياةً روحيةً جديدة، وكانوا يعترفون ويتناولون الأسرار المقدّسة.

وكانت لإحدى صديقاتها، واسمها دسيسينا (٥٥ سنة)، إصابة

ثم صار بطريكرًا للقسطنطينية في أواخر عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير سنة ٤٤٧ م.

وكان بطريك الإسكندرية ديسقوروس، المؤيد للمونوفيزية، هو الذي اقترحه للعرش البطريركي، ظنًا منه أنه سيكون معاونًا ومؤيدًا له في انحرافات اللاهوتية. لكن آماله خابت تمامًا، لأن أناتوليوس كان من الذين وقَّعوا على خلع ديسقوروس نفسه خلال المجمع المسكوني الرابع المنعقد في خلقيدونية سنة ٤٥١ م والذي أَدانَ بدعة أوطيخا أيضًا. كما جرى تجريد ديسقوروس من رتبته، وأعيد إدراج اسم القديس فلافيانوس، بطريك القسطنطينية، في الديتيخا، بعد أن كان ديسقوروس قد عزله خلال مجمع أفسس اللصوسي سنة ٤٤٩ م.

كم كان بطاركة وأساقفة الكنيسة في ذلك الماضي المجيد يتحملون مسؤولياتهم ويصدرون قراراتهم بشجاعة! وهنا بالتحديد يكمن الفرق الجوهرى بين الأمس واليوم.

فالحروب والاضطهادات التي تتعرض لها الكنيسة ليست أمرًا جديدًا، لأن الشيطان هو نفسه عبر العصور، وما زال يستخدم أدواته لمحاربة عمل الخلاص الذي أمته ربنا يسوع المسيح.

الشيطان هو نفسه بالأمس واليوم. لكن ما الذي تغير؟ لقد تغيرت نوعية القادة الروحيين، وضعف المدافعون عن الإيمان، أولئك الذين كان ينبغي أن يكونوا حراسًا للإيمان الطاهر ومدافعين عنه.

إن سيرة القديس أناتوليوس تحمل لنا دروسًا كثيرة. فقد كشف هذا القديس بوضوح خطورة الانحراف عن الحقيقة. فعندما اقترحه ديسقوروس للعرش البطريركي، لم يفكر بطريقة بشرية أو علمية، ولم يعتبر نفسه مدينًا له بسبب هذا الدعم، بل وقف ضده علنًا عندما رأى أنه صار خائنًا للإيمان الأرثوذكسي.

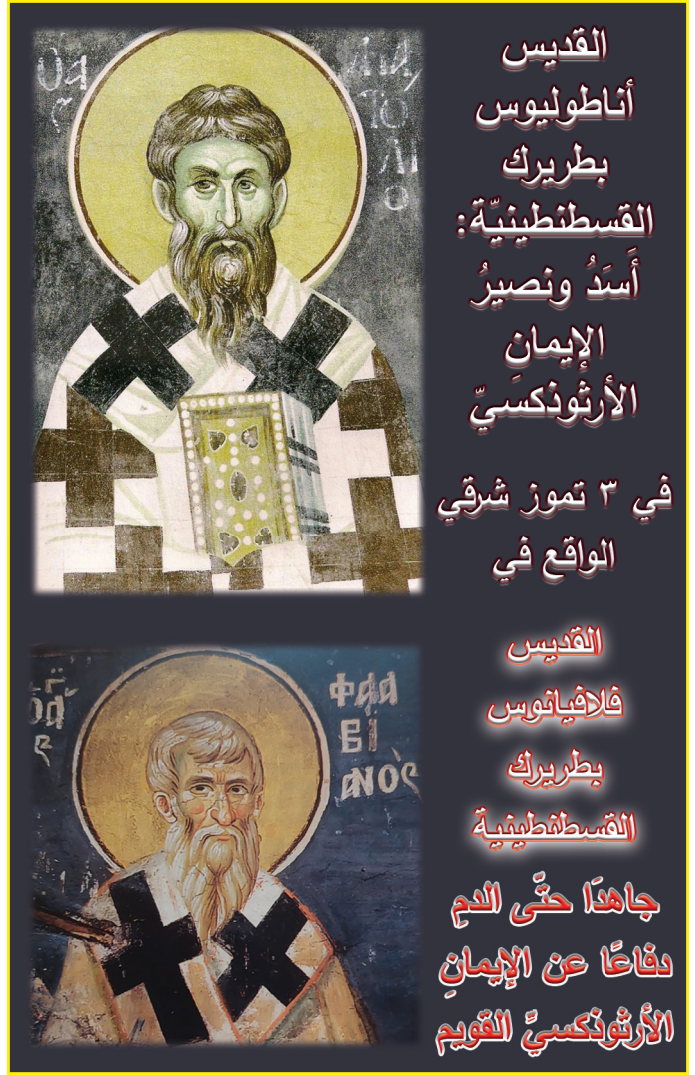
أما في المقابل، فإن كثيرين اليوم، عندما ينالون منصبًا أو ترقية بفضل دعم شخص ما، يشعرون بأن عليهم رد الجميل ولو على حساب الحق، فيرضخون للأهواء البشرية ويخونون مسؤوليتهم الروحية.

فلنتور إدا بأمثال هؤلاء النجوم اللامعين في سماء الإيمان، كالقديس أناتوليوس، الذي لم يكتف بعزل ديسقوروس، بل أعاد أيضًا إدراج اسم القديس فلافيانوس بطريك القسطنطينية في ديتيخات الكنيسة.

فالقديس فلافيانوس كان قد عزل في مجمع أفسس اللصوسي سنة ٤٤٩ م على يد ديسقوروس. ولم يقتصر الأمر على عزله، بل تعرض لاعتداءات عنيفة من الرهبان والعلمانيين المرافقين لديسقوروس، لأنه رفض قبول بدعة الطبيعة الواحدة. وقد ضرب ضربًا مبرحًا حتى أصيب إصابات خطيرة أدت إلى رقاذه بعد ذلك بوقت قصير.

ولمَّا أدرك القديس أناتوليوس قداسة هذا الرجل، سعى إلى نقل رفاته المكرمة وإيداعها في كنيسة الرسل القديسين.

وممثلًا نعمةً وغيره على الحق، أرسل رسائل دورية إلى الأساقفة يشرح فيها الإيمان الأرثوذكسي، ويحثهم على إعلان الحرم على رؤساء البدع وأصحابها، أي نسطور وأوطيخا وديسقوروس، وعلى



القديس
أناتوليوس
بطريك
القسطنطينية:
أسد ونصير
الإيمان
الأرثوذكسي

في ٣ تموز شرقي
الواقع في

القديس

فلافيانوس

بطريك

القسطنطينية

جاهدًا حتى الدم

دفاعًا عن الإيمان
الأرثوذكسي القويم

القديس أناتوليوس بطريك القسطنطينية

يا أناتوليوس، لقد بلغت نهاية الحياة، واقتربت من الشمس التي لا تغيب.

ممثلًا نعمةً وشوقًا للشهادة من أجل حقيقة المسيح، أرسل القديس أناتوليوس رسائل دورية إلى جميع الأساقفة، شرح لهم فيها أمور الإيمان الأرثوذكسي. (وتُعبد له الكنيسة في الثالث من تموز).

إن مدى عظمة هذا القديس، وكونه أسدًا من أسود الأرثوذكسية، يتجلّى لنا في قداقه الذي يقول:

«أَيْهَا الْبَارَّ، يَا مَنْ تَحْمَلُ فِي نَفْسِكَ إِشْرَاقَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ، إِنَّكَ تُضِيءُ كَسِرَاجٍ لِلْأَرْثُوذُكْسِيَّةِ، وَتُبَدِّدُ ظُلْمَةَ الْبِدْعِ، وَتَحْتُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ بِشَوْقٍ إِلَهِيٍّ وَتَنْهَضُهُمْ لِيَتَّبِعُوا الْإِيمَانَ الْإِلَهِيَّ. فَأَظْهِرْ لَنَا هَذَا النُّورَ الْإِلَهِيَّ، أَيُّهَا الْعَارِفُ بِأَسْرَارِ الْمَسِيحِ.»

وُلد القديس في الإسكندرية، ورُسم شماسًا على يد رئيس أساقفة الإسكندرية آنذاك، القديس كيرلس الكبير، الذي حطّم بدعة نسطور. وهكذا نال بركة وصلوات عمود الإيمان الإلهي والمدافع عن شخص والدة الإله الفاتحة القداسة، القديس كيرلس الإسكندري، فصار هو أيضًا مدافعًا عظيمًا عن الحقيقة، محطّمًا البدعة التي ظهرت لاحقًا، أي بدعة الطبيعة الواحدة (المونوفيزية).

وخدم كاهنًا وممثلًا لكنيسة الإسكندرية في العاصمة الإمبراطورية.

القديس فلافيانوس

كان القديس فلافيانوس كاهنًا في رئاسة أسقفية القسطنطينية، وسكيوفيلكس (أمين الأواني المقدسة) لكنيسة الحكمة الإلهية المقدسة (آيا صوفيا).

وبسبب فضائله ومواهبه الروحية اشتهر بين المؤمنين، فخلف القديس بروكلوس (+ ٢٠ تشرين الثاني سنة ٤٤٦م) على الكرسي الأسقفي للقسطنطينية سنة ٤٤٧م. وقد تزامنت بطريركيته مع الاضطرابات التي أثارها في الكنيسة هرطقا نسطور وأوطيخا.

فقد كان نسطور قد أُدين من قِبَل المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس، غير أن أنصاره لم يخنفوا بعد ذلك. ثم ازدادت الأمور سوءًا عندما انضمت إلى بدعته تعاليم أوطيخا المنحرفة، الذي كان يعلم بأن المسيح لم تكن له سوى طبيعة واحدة، هي الطبيعة الإلهية، التي ابتلعت الطبيعة الإنسانية ابتلاعًا كاملاً. وكان مثل هذا التعليم يجعل الألوهة نفسها قابلةً للآلام.

فهبَّ القديس فلافيانوس لمواجهة هذا الضلال، وعقد مجمعًا محليًا سنة ٤٤٨م. وفي ذلك المجمع أظهر أوطيخا سلوكًا متواضعًا في الظاهر، غير أنه رفض أن يحرم آراءه السابقة. لذلك عزله المجمع من رئاسة دير، وجردّه من الكهنوت، وقطع شركته الكنسية.

وبعد انتهاء المجمع، استأنف أوطيخا الحكم لدى البابا لاون الأول أسقف روما (٤٤٠-٤٦١م)، ولدى ديسقوروس بطريرك الإسكندرية، الذي كان يؤيّد المبتدعين.

وكان الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني الصغير (٤٠٨-٤٥٠م)، بعد أن تأثر بمؤيدي أوطيخا، قد دعا إلى عقد مجمع في أفسس سنة ٤٤٩م، وجعل ديسقوروس بطريرك الإسكندرية رئيسًا له.

ولأنَّ القديس فلافيانوس تمسك بتعليم المجمع المسكوني الثالث، تعرّض للاضطهاد من قِبَل ديسقوروس وأتباعه. وقد حاول الالتجاء إلى المائدة المقدسة كمن يطلب ملجأً وحماية، لكنّه لم يتمكّن من ذلك. فأنهالوا عليه ضربًا، وجردوه إلى خارج الكنيسة، ثم جردوه من رتبته ونفوه إلى أفسس، حيث رقد بعد فترة قصيرة متأثرًا بما لحق به من أذى.

ولم تُسجَل هذه الأعمال الشنيعة في المحاضر التي وصلت إلينا من ذلك المجمع، لكنّها عُرفت من الشهادات التي قُدمت لاحقًا في المجمع المسكوني الرابع.

وبعد سنتين، أي سنة ٤٥١م، أَدانَ المجمع المسكوني الرابع هذه الهرطقة، وحرم أوطيخا، وجردَ ديسقوروس من رتبته. أما ذخائر القديس، فقد نُقلت باحتفالٍ عظيمٍ إلى القسطنطينية على يد بولخاريا، أختِ ثيودوسيوس الصغير، ووضعت في كنيسة الرسل القديسين.

ملحوظة: حتى القرن الثاني عشر الميلادي، كان يُحتفل بعيد القديس فلافيانوس في الثامن عشر من شباط.

فبشفاعة القديس فلافيانوس أيها الرب يسوع إرحمنا وخلصنا. آمين.

كل من علّم بأن الطبيعة الإلهية قد تعرّضت لتغيير أو تحوّل أو امتزاج عند تجسّد كلمة الله.

ومن هذا تتعلّم أنّ جميع الرعاة لا يُستنارون من الرّوح القدس بالطريقة نفسها، حتى وإن كانوا يعيشون حياة مستقيمة. فهناك أشخاص يختارهم الله اختياريًا خاصًا ويستريح فيهم روحه، ومن خلالهم يكشف أعداء الإيمان وانحرافاتهم منذ بداياتها، قبل أن تنتشر كالسّوس أو السرطان في جسد الكنيسة.

فهؤلاء الرجال المستنيرون، الرعاة الحقيقيون، يأخذون من الله موهبة تميز الضلال وكشفه وحماية الكنيسة بنعمة الله. وهذا ما فعله القديس أنطوليوس.

وهكذا ظلّ هذا الجوهر الثمين من جواهر الإيمان يجاهد حتى آخر نسمة من حياته ضدّ المبتدعين، وفي الوقت نفسه كان يثبّت المؤمنين ويدعم الكنيسة بكل وسيلة.

وفي عهدِه أيضًا، نُقلت إلى القسطنطينية ذخائر القديسين الأربعين الذين استشهدوا في سبب طية (٩ آذار).

وكذلك، في زمن بطريركيته، شيّدت الملكة بولخاريا (راجع ١٧ شباط)، سنة ٤٥٠م، الكنائس العظيمة المكرّسة لوالدة الإله في خالكوبرتيا، والبلاخينا، واليهودغيتريا. وأيضًا عددًا كبيرًا من الكنائس الأخرى.

وعندما أصيب بمرض شديد، نال الشفاء على يد القديس دانيال العمودي، الذي كان أنطوليوس قد سانده سابقًا عندما اتهمه البعض ظلمًا بالهرطقة.

فالمفترّون والوشاة عبر العصور لم يكفّوا عن محاولة إيذاء قديسي الله.

هذه هي سيره بطريرك القسطنطينية القديس أنطوليوس، الذي بعدما رعى شعب الله بفكرٍ أرثوذكسيٍّ مستقيم، وجاهد حتى الموت من أجل تثبيت العقيدة الحقّة والمحافظة عليها، انتقل إلى الرّب في الثالث من تموز سنة ٤٥٨م، تاركًا خلفه البطريرك القديس جيناديوس خلفًا له على السدة البطريركية.

فيا قديس الله، تشفّع من أجلنا جميعًا ومن أجل العالم كلّ.. كُن لنا عونًا.

الطوبارية باللحن الثالث: أيّها البار، إذ ختمت دعوتك بالأعمال، وأظهرت للعالم بالأقوال والأفعال إشراق المشرق الذي يفوق العقل، أيّها الرئيس الكاهن، لأنك يا أناتوليوس بشرت بالمسيح ذي الإرادتين والطبيعتين بدون اختلاط، مع كونه أقتومًا واحدًا، لأجل خلاص نفوسنا.

التمجيدية: أيّها الرئيس الكاهن، إذ أشرقت بإنارة النور السري، ظهرت نورًا للعالم، وتقرّبتنا دائمًا إلى أبي الأنوار، يا أناتوليوس.

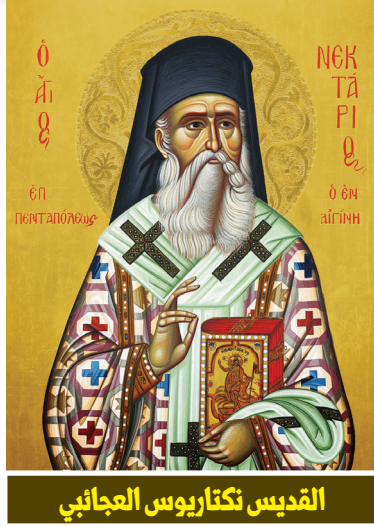
المصدر: موقع مكتبة «الخشوع» الإلكترونية التابعة لجمعية القديس يوسف الهدوي الأرثوذكسية.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

سوفوس

خوندروبولوس

أسقف
(المرحلة الخامسة)



القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثاني عشر

† «الجاهل لا يُسّر بالفهم، بل يكشف قلبه». (أمثال ٢: ١٨).

ولكي تستطيع امرأة جاهلة مثل هذه، بائعة شموع بسيطة من عامة الشعب، أن تقترب من ملاتيوس ميتاكساكيس؟ فقد كان يلزمها بالفعل قدرة شيطانية، وفكرًا مخادعًا لا حد له، وبراعة خبيثة وتصميمًا كبيرًا. والواقع أنّها توصلت إلى دخول دار المطرانية، وتجاوزت البوّاب، ووجدت نفسها وجهًا لوجه أمام رجل الكنيسة هذا، ذي الأصل الكريتي، صاحب القامة المهيبة، الذي تنقل كثيرًا في الأسفار. وانفجرت أمامه باكياً وقالت له:

«أنقذني يا سيدي الأسقف، لقد أغروا طفلي الوحيدة التي أعطاني إياها الربّ بنعمته. لقد أغروها وقادوها إلى الهلاك... كم أنا حزينة...»

«من أغراها؟»

«ومن تظنّه يكون؟ إنّهُ بالطبع نكتاريوس، هذا الراهب من إيجينا الذي يزعم أنّه يعيش الحياة النسكية. والواقع أنّه يستميل الشابات اللواتي لا خبرة لهنّ، ويلقيهنّ في الهلاك.»

«نكتاريوس؟»

«أجل، هو وعصابته. لقد حلّت عليّ المصيبة والتعاسة، أنا الشقيّة... أنقذني يا أسقفي...» وأجهشت بالبكاء أكثر فأكثر، وارتمت عند قدميه، وتمرّغت في الأرض شادّة شعرها، ومنتحبة ومُعولةً بطريقتها المعتادة الشديدة البراعة. وقد وقع ملاتيوس في الفخ دون أن يدري، رغم خبرته الكبيرة في الإدارة وجميع مزاياه.

وبعد يومين ذهبت بائعة الشموع إلى قصر العدل في البيريوس. وقد بحثت بعناية وجمعت المعلومات، والتّمست في النهاية مقابلة قاضي التحقيق غريغوروات. وقد تفوّقت على نفسها خلال هذه المقابلة في النفاق والنميمة، وبدت ممثلة براءة على مستوى سارا برنار.

ملحوظة: سارا برنار هي ممثلة فرنسيّة شهيرة عاشت بين القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد اشتهرت بقدرتها المسرحيّة الفائقة وتمثيلها العاطفي المؤثّر، حتى أصبحت رمزاً عالمياً للمبالغة في الأداء المسرحي. لذلك استخدم الكاتب اسمها هنا ليظهر مدى تمثيل المرأة وحداها وإتقانها لدور الضحيّة أمام القاضي.

وقد سألتها: «يا لتعاستي يا سيدي القاضي! هل أنت متزوّج؟ هل لك أولاد؟»

فابتسم القاضي لدى سماعه هذه الكلمات، وردّ بنبرة مازحة: «أعتقد هذا، وماذا بعد؟»

«يا لتعاستي! إنّ لي ابنة مثل زنايق الربيع! هل نظرت مرّة إلى الزنايق عند الصباح؟ إنّ بياضها أجمل من بياض البجع، ورائحتها تحيي

الأموات. يا لتعاستي! فأنا وحدي أعلم الثمن الذي دفعته لتربيتها وإطعامها، الربّ وأنا.»

«تابعي...»

«هذه الزهرة، هذه الفتاة الوحيدة، قد انتزعت منّي، وأغرّيت وأبعدت عن الطريق القويم.»

«ومن فعل هذا؟»

«من غيره؟ إنّهُ نكتاريوس، هذا الراهب الشيطاني من إيجينا. ليت قدماه لم تطأ يوماً أرض هذه الجزيرة.»

«هل أنت من إيجينا؟»

«لا بل من سيفنوس، يا ولدي الحبوب. ولكني تزوّجت في إيجينا وعشت فيها أجمل سنوات حياتي، وتنفّست بعض الهواء المنعش.»

«ولكن ماذا فعل هذا الراهب لإغوائها؟»

«هل يجب أن أصنع لك رسمًا يا سيدي الطيب؟ لقد استعمل الدين بكل بساطة، وبعض السكاكر... وقد انتزعها منّي، ومنذ ذلك الوقت احتلّت مكانها بين نعاجه. والآن يمكنك أن تتحسّر عليّ يا سيدي الطيب! فأنا تعيسة ومهانة...»

وأجهشت بالبكاء من جديد، وكعادتها ارتمت عند قدميه، وراحت تبكي وتعول.

وأصيب القاضي بالدهول، إذ لم يكن قد سمع ولا رأى في حياته أمرًا مماثلًا. وبدأ يضطرب، ووقع في الفخ كما حدث مع ملاتيوس، وخصوصًا أنّه كان رجلًا راقياً يقرأ مؤلفات الكتاب الأوروبيين المعاصرين، وقد فقد منذ زمن بعيد إيمانه بخلود الروح في ذلك العالم الآخر الروحي وغير المادي.

فأدخل المرأة إلى مكتبه الخاص، وأجلسها، وشجّعها على الكلام وعلى التلقظ بكلّ الوساحات والافتراءات التي أوحاها إليها أبوها، سيّد الشرّ. فملأت من اتهاماتها الكاذبة الرهيبة سبع صفحات كاملة، ثم جعلها توقّعها.

فأجهشت بالبكاء من جديد وقالت له: «يا لتعاستي، فأنا لا أعرف الكتابة يا ولدي! أعطني الخبيرة لأضع عليها إصبعي.»

فغمست إصبعها بالخبير وضغطت به على أسفل الصفحة. ثم انصرفت باسمّة، وكانت تصرف بأسنانها وهي تنزل درجات قصر العدل:

«أيّها الراهبات الوسخات، سوف أعلمكنّ أنا من هي إيريني...»

يتبع في العدد القادم

تفسير رسالة القديس بولس الرسول الأولى

إلى أهل كورنثوس (53)

القديس يوحنا الذهبي الفم



إلى الشيطان وذكره بيوم الدينونة، فقد حاول أن يُثِيرَ فيه الخجل، قائلاً: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟» (١ كو ٦: ١٥)، متحدّثاً لهؤلاء، كَمَنْ هم أولاد ينحدرون من أصل نبيل. وبعدها قال: «الجسدُ للربِّ»، جعل ذلك أكثر وضوحاً. وقد فعل نفس الأمر في موضع آخر، قائلاً: «وأما أنتم فحسدُ المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١ كو ١٢: ٢٧). وفي أجزاء أخرى كثيرة، يستخدم نفس الأسلوب ليس لذات الموضوعات، بل تارة لكي يُظهِرَ المحبّة، وتارة أخرى لكي يزيد من الخوف. هنا أشار إلى نفس الأمر، لكي يُثِيرَ لديهم الفزع والخوف: «أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا!». لا يوجد ما هو أكثر فزعاً من هذه الكلمة. ولم يقل: «أخذ أعضاء المسيح وأجمعها بزانية»، بل قال: «وأجعلها أعضاء زانية؟»، الأمر الذي يُصيب بصورة أكثر قوّة. بعد ذلك يعرض الحالة التي آل إليها الزاني، وكيف حدث ذلك، قائلاً:

«أَم لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مِنَ التَّصَقِّ بِزَانِيَةٍ هُوَ جَسَدٌ وَاحِدٌ؟ لِأَنَّهُ يَقُولُ: «يَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا»، وَأَمَّا مِنَ التَّصَقِّ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ.» (١ كو ٦: ١٦-١٧).

من أين يتّضح هذا؟ يتّضح من قول الكتاب: «يكون الاثنان جسداً واحداً». أي إنّ الجماع لا يترك الاثنان أن يكونا اثنين، بل يجعل الاثنان واحداً. ولا حظ أيضاً كيف يستخدم الكلمات، فيتحدّث عن الأعضاء الزانية، وأنّه لا ينبغي أن تكون أعضاء المسيح أعضاء زانية.

«اهربوا من الزنا» (١ كو ٦: ١٨).

لم يقل الرسول بولس: «ابتعدوا عن الزنا»، بل قال: «اهربوا»، أي بادروا أو أسرعوا في التخلص من هذا الشر. «كُلُّ خَطِيئَةٍ يَفْعَلُهَا الْإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، لَكِنَّ الَّذِي يَزِينُ يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ.» (١ كو ٦: ١٨). هذه الحجّة أو هذا الدليل هو أضعف من سابقه. ولكن نظراً لأنّ حديثه هو عن الزناة، فإنّه يؤكّد على أنّ الذي يزني يُخْطِئُ إلى جسده، ويحاول سواءً بدليل ضعيف أو قوي أن يُظهر مدى

الإصحاح السادس:

العظة الثامنة عشرة: (١ كو ٦: ١٥-٢٠) -

«أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَأَخَذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا!» (١ كو ٦: ١٥).

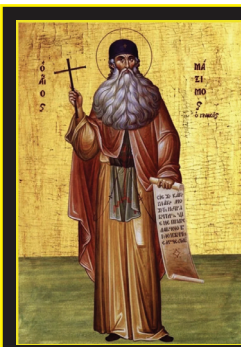
١) بعدما انتقل من الزاني إلى الطَّمَاع، ينتقل مرّةً أخرى مِنَ الطَّمَاعِ إِلَى الزَّانِي، دُونَ أن يتوجّه تحديداً إلى الزَّانِي، بل إلى الذين لم يزناوا. وبينما حرص على الحفاظ على هؤلاء حتى لا يسقطوا أبداً في مثل هذه الخطايا، يعود مرّةً أخرى فيهاجم الزَّانِي، لِأَنَّهُ إن وَجَّهَتْ كَلَامَكَ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ، فَإِنَّكَ تَجْعَلُ ذَاكَ الَّذِي أخطأ يُنخَسُ وينتبه، لِأَنَّ ضَمِيرَهُ سَيُنخَسُ ويُعذِّبُهُ. وَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الخوفَ مِنَ العقابِ كان كافياً وقادراً على أن يحفظهم في تعقلٍ وتهذيب. ولكن نظراً لِأَنَّهُ، لا يريد أن يحقّق هذه النوعيّة مِنَ الفضيلة بواسطة الخوف فقط، أضاف إلى ذلك تهديداتٍ، وأفكاراً.

بالنسبة لتلك الحالة (حالة الذي زنى مع امرأة أبيه)، بعدما كشف الخطيئة وحدّد العقاب وبين الضّرر الذي أصاب الجميع، بسبب هذه العلاقة الآثمة التي للزَّانِي، ترك هذا الموضوع وتحوّل إلى موضوع الطَّمَاع، بعدما ذكّر بالخطر من فقدان ملكوت الله، سواءً لذلك الذي أخطأ أو للآخرين الذين أشار إليهم بالتفصيل. فقد أنهى حديثه هكذا، لكنّه في حديثه هذا، يجعل نصائح أكثر فزعاً، لِأَنَّ ذَاكَ الَّذِي يُعاقب ويحكم فقط على الخطيئة ولا يُظهر بأنّها خاطئة جدّاً وضارة للغاية، فإنّه لا ينجح ولا يحقّق شيئاً مهمّاً بواسطة العقاب فقط. أيضاً ذاك الذي يحاول أن يجعل الخطأة ينجحون فقط ولا يُخيفهم بالجحيم، فإنّه لا يضبط فاقدي الإحساس بما ينبغي مِنَ الشدّة والقسوة التي يحتاجون إليها. ولذلك فإنّ الرسول بولس صنع الأمرين، وجعلهم ينجحون قائلاً: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلَائِكَةً؟» (١ كو ٦: ٣)، ويُخيفهم قائلاً: «أَم لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَا يَرْتُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ؟» (١ كو ٦: ٩). وفي حالة الزَّانِي، يتحدّث بنفس الأسلوب. وبالْحَقِيقَةَ فقد أخافه من خلال كلّ ما قاله، وبعدها قطعهُ مِنَ شركة الكنيسة وسلّمهُ

فعل الخبيثة، وأن لا يتبعوا شهوات نفوسهم غير اللائقة. لأننا بالحقيقة نسمح لأنفسنا بأمر كثيرة غير لائقة، في حين أنه من الواجب علينا أن نضبط أنفسنا، وهذا ممكن بالنسبة لنا، لأنه إن لم يكن هذا ممكناً، فإن النصيحة ستكون في غير موضعها. لاحظ كيف حقق **الرسول بولس** ما أراد. فبعدهما قال: «لستم لأنفسكم»، لم يقل إنكم تحت ضغوط أو إكراه، لكنه قال: «لأنكم قد اشتريتم بثمن». لماذا قال هذا الكلام؟ قد يقول البعض: كان عليه أن يُرشدنا بطريقة أخرى، مبيِّناً أننا لله. نعم، ولكن كلامه في هذه الحالة موجه أيضاً لليونانيين. أما عبارة «اشتريتم بثمن»، فهي تخصنا نحن فقط، وتذكرنا بعظمة **إحسانات الله وطريقة الخلاص**، مبيِّنة أننا قد اشترينا بعدما ابتعدنا عن **الله**، فالأمر هنا لا يرتبط بالثمن فقط. ثم يستطرد قائلاً: «فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ». يقول ذلك لكي نهرب من الزنا، ليس فقط بالجسد، بل بأرواحنا ونفوسنا أيضاً، حتى لا نفكر أبداً في الشر. لأنه إن فعلنا عكس ذلك، ستتخلى النعمة عنا. ثم يقول: «التي هي لله»، لأنه قال: «الذي لكم»، لذلك أضاف: «التي هي لله». هكذا يُذكر دائماً بأن كل شيء هو من **الله** الذي خلق الجسد والنفوس والروح، فالإنسان بجملته هو **الله**. ويدعي البعض أنه يقصد بكلمة «الروح» الموهبة، لأنه إن كان لنا الموهبة، فسنمجد **الله** وسنكون **هيكلاً للروح** إن كنا نحمل قلباً نقياً. قال إن أجسادنا وأرواحنا هي **الله**، ليس فقط لأنه هو الذي خلقها، بل لأننا عندما فقدناها، اشتراها هو أيضاً للمرة الثانية بعدما قدّم الثمن، **دم ابنه**.

لاحظ كيف أن **الرسول بولس** يرجع كل شيء إلى **المسيح**، كيف يسمو بنا إلى السماء، إذ يقول: **أنتم أعضاء المسيح وهيكلاً للروح القدس**، فلا تصيروا إذاً أعضاء زنا، بل **أعضاء المسيح**. وهو يذكر هذه الأمور لكي يُظهر في ذات الوقت **محبة الله** للبشر، فجسدنا هو **الله** الذي أنقذنا من سلطان الشرير (أي الشيطان). فلو كان جسدكم ليس ملكاً لكم، فلن يكون لكم سلطان على إهانة جسدٍ غريب، خاصة لو كان هذا الجسد ملكاً لإلهكم، وأن تُنجسوا هيكلاً للروح. وطالما أن ذلك الذي يقتحم منزلاً غريباً (أي ليس ملكاً له)، ويتمتع بكل ما فيه، يُعاقب بشدة، فكَمْ يَكُونُ عِقَابُ ذَلِكَ الَّذِي يَجْعَلُ هَيْكَلَ اللَّهِ مَلْجَأً لِلصُّوْرِ؟ فَكَّرْ فِي مَدَى الشَّرُّورِ الَّتِي سَيُعَانِيهَا.

يتبع في العدد القادم



إذا حَسُنَ لك الزنا فاقبله بالتواضع،
والجأ بنفسك إلى الله فتستريح.
وإذا حوربت بجمال الجسد،
فتذكر نتونته بعد الموت
فإنك تستريح
القديس موسى الأسود

توزع هذه المجلة مجاناً

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

IBAN: IL48012726000000111122

كفر كنا - الشارع الرئيسي - ص. ب. 619

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

جمعية نور المسيح

المحرر المسؤول:

هشام خشيون - سكرتير جمعية نور المسيح

بشاعة هذه الخبيثة. فإذا كان الدليل السابق قد قيل للأتقياء، بينما هنا يتحدث للضعفاء، وهذه بالحقيقة من سمات **حكمة الرسول بولس**، إنه يحاول أن يُثير الخجل والحياء في النفوس، ليس فقط من خلال حجج قويّة، بل أيضاً من خلال حجج وبراهين ضعيفة. ويؤكد على أن هذه الخبيثة هي خبيثة مشينة وغير لائقة.

ماذا إذا قد يقول البعض: ألا يلوّث القاتل يده؟ ألا يتلوّث الطمّاع والخاطف بما يقتراه؟ نعم بكل تأكيد، واعتقد أن هذا واضح. ولكن نظراً لأنه لم يستطع أن يشير إلى شيءٍ أكثر سوءاً من حالة الزاني، فقد أكد على ذلك بطريقةٍ أخرى، قائلاً: إنَّ الجسد كله يصير دنساً في حالة الزنا. فمثل ذلك الذي سقط في قِدرٍ ملوِّث وانغمس فيه بشكل كامل، هكذا من يتلوّث بالزنا. وهذا ما اعتدنا نحن أيضاً عليه، فعندما تستحوذ خبيثة الطمع والسلب على أحد، فإنه لا يُبادر بالذهاب إلى الحمام العام، بل يتوجّه إلى بيته في هدوء. أما عندما يعاشر زانية، فإنه يأتي إلى الحمام ليظهر كمن صار دنساً بالكامل. هكذا يعتبر الضمير الإنساني هذه الخبيثة خبيثةً دنسةً وقيحة. ومن ناحيةٍ أخرى، فإن كانت هاتان الخبيثتان، الطمع والزنا، هما من الخطايا المفزعة وتؤديان إلى الجحيم، إلا أن **الرسول بولس**، بحكمته المعهودة في كلِّ الأمور، قد شدّد كثيراً على ضرورة الابتعاد عن خبيثة الزنا، بالوسائل التي طرحها.

٢) «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدْسِ الَّذِي فِيكُمْ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ؟» (١ كو ٦: ١٩).

لم يقل فقط: «الروح القدس»، بل قال: «الروح القدس الذي فيكم»، الأمر الذي يُظهر الرغبة النفسية القوية. أيضاً يضيف شارحاً فيقول: «الذي لكم من الله»، بالإضافة الأخرى هي الحديث عن عطية **الروح القدس**، فمن خلال مقدار العطية العظيمة وقيمة الهبة، يُكرّم المستمع وفي الوقت نفسه يُخيفه.

ثم يقول: «وأنكم لستم لأنفسكم»، وهذا يبيّن أن الأمر ليس فقط محاولة لأن يُثير الخجل في نفوسهم، بل أيضاً هو يحثهم على الفضيلة. وهكذا يتساءل: لماذا تميل إلى كل ما تشتهيهِ؟ أليس لك سلطاناً على نفسك؟ قال هذا الكلام لأن مرتكب الشر يجهل قوة الإرادة الذاتية أو السيطرة على الذات. لأنه حين يقول: «كل الأشياء تحلّ لي ولكن ليس كل الأشياء توافق»، فهو لا يُبطل أو يُصادر حرّيتنا. وهنا أيضاً عندما يكتب: «لستم لأنفسكم»، فهو لا يُبطل إرادتنا، بل يحزرها من الشر ويُظهر **وصاية الرب** علينا، ولذلك أضاف:

«لأنكم قد اشتريتم بثمن» (١ كو ٦: ٢٠).

إن كنت لست لِنفسي، فكيف تطلب مني أن أفعل ما ينبغي عليّ أن أفعله؟ كيف تقول بعد ذلك أيضاً: «فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ؟» إذاً ماذا يعني بعبارة «أنكم لستم لأنفسكم»، وما الهدف الذي يريد أن يحققه من ورائها؟ يريد أن يجعلهم في مأمن من